

وصايا من القرآن والسنة

تأليف

هويدا محمد مرسى

تحقيق

د/ أحمد محمد غنيمة

الناشر عالم المعرفة للنشر والتوزيع

توزيع دار البيان خلف جامع الأزهر

ت ٥١١٨٠٩٧

وصايا من القرآن والسنة

تأليف
هويدا محمد مرسي

تحقيق ومراجعة
الدكتور / أحمد محمد غنيمة

الإشراف العام
عبد الباقي الشيخ

رقم الإيداع ١٨٣٧٣ / ٢٠٠٣

الناشر
عالم المعرفة للنشر والتوزيع
المنيا - ملوي ت: ٦٤١٤٦٠ / ٠٨٦

توزيع
دار البيان العربي
٨ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت / ٥١١٨٠٩٧

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرا طيبًا مباركًا فيه حمدًا يوافى نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه. وبعد،،،

فالمسلمون إذا عاشوا عيشة راضية في رحاب القرآن الكريم، والسنة المطهرة وجدوا زادهم المادى والمعنوى ووجدوا من التربية والتوجيهات والوصايا الإسلامية ما يسعدهم في دينهم ودنياهم، ويحقق لهم عزهم ومجدهم وحضارتهم التى ذابت أوكادت تذوب وسط الحضارة المادية المنحرفة، ويضعهم في مكانتهم العالية التى أخبر القرآن الكريم عنها في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وإذا ما جلسنا إلى موائد القرآن الكريم والسنة الشريفة فسنجد أمامنا من الزاد الطيب ما يجمع الله به كلمتنا ويكشف به غمتنا ويوحد أمتنا ويعيد إلينا قوتنا وهوما نتمناه للأمة الإسلامية اليوم **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتي»**، فإن السنة هي المصدر التشريعي الثاني - من المصادر المتفق عليها لدى المسلمين - بعد كتاب الله عز وجل، فهي أصل من أصول الدين، ومنهل خصيب للتشريع، ودليل أساسي من أدلة الأحكام، تعرفنا حكم الله سبحانه وتعالى في كل كبيرة وصغيرة، فهي جامعة مانعة، عامة شاملة، لا تفوتها شاردة، ولا واردة إلا وقد أعطتها حكمًا شرعيًا ذلك أن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن ربه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة / ٦٧]

وهو المبين مراد الله عز وجل فيما أنزل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل/ ٤٤] فالسنة المطهرة تأكيد لما بين كتاب الله من أحكام، وتفصيل لما أجمل، وتقييد لما أطلق، وتخصيص لما هو عام

لهذا كله كانت السنة المطهرة، في مجمل أحكامها وتشريعاتها - من حيث وجوب العمل بها - بمنزلة كتاب الله تعالى، فما ثبت فيها فهو ثابت بوحي من الله سبحانه، وأمر منه وتكليف: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر/ ٧].

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد للمسلمين من الرجوع إلى ما نقل عنه ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، والأخذ بما ثبت عنه، لنعمل به .

لذا فقد جمعنا مجموعة من التوجيهات والوصايا الإسلامية التى وردت في القرآن والسنة، وتناولناها بالشرح، والتحليل عسى أن يقتدى بها المسلمون في حياتهم فتنفعهم في دينهم ودنياهم وتصل بهم - إن شاء الله - إلى طريق الجنة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أحمد غنيمة

* * *

الوصية الأولى: إن الدين عند الله الإسلام

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران/ ١٨-١٩]

شهد الله وكفى به شهيدًا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي المتفرد بالألوهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده، وخلقه، وفقراء إليه، وهو الغنى عما سواه، ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ . قال الإمام أحمد: حدثنا أبو يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال: سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: **«وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب»**، وفى رواية أخرى قال: **«وأنا أشهد أى رب»**.

وقال الطبرانى في المعجم الكبير: حدثنى غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبًا من الأعمش فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قالها مرارًا قلت: لقد سمع فيها شيئًا فغدوت إليه فودعته، ثم قلت: يا أبا محمد إنى سمعتك تردد هذه الآية، قال: أو ما بلغك ما فيها ؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة فأقمت سنة، وكنت على بابه فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة، قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: **«قال رسول الله ﷺ: «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل: عبدى عهد إليَّ وأنا أحق من وفى**

بالعهد أدخلوا عبدى الجنة» [١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إخبارًا منه أنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس متقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية. وقال في هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وفى الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بنى آدم عن عربهم وعجمهم كتابييهم وأمييهم امتثالاً لأمرالله عز وجل. فعن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار»** [٢]. وقال ﷺ: **«بعثت إلى الأحمر والأسود»**.

وقال الأمام أحمد عن أنس رضي الله عنه: أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبى ﷺ وضوءه، ويناوله نعليه فمرض وأتاه النبي ﷺ، فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبى ﷺ: **«يا فلان قل لا إله إلا الله»** فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذى أخرجه بى من النار»** [٣].

فقد أرسل الله الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ برسالة ذات مضمون واحد وهدف واحد وغاية واحدة، فأرسل موسى عليه السلام ومعه التوراة وأرسل عيسى عليه السلام ومعه الإنجيل وأيد سيدنا محمد ﷺ خاتم الرسل بالقرآن الكريم وكان القرآن خاتم الرسالات التى جمعت كل ما سبقها وهيمنت عليه. هذا والتكذيب بأى رسالة من رسالات الله للأنبياء والرسل إلى البشر كُفر به قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ١ تفسير سورة آل عمران.
(٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخاري.

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف ٤٠] فجملة حتى يلج الجمل في سم الخياط تعبير يدل على استحالة دخول الجنة للذين كذبوا واستكبروا عن آيات الله كما أنه من المستحيل أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى ١٣] ولهذا قال هاهنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥] وفى الحديث: «**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» أى: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحدة لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة ٤٨].

ثم بين سبحانه أن التوراة والإنجيل والقرآن مصدرهم جميعًا واحد وأن التوراة الإنجيل ما أنزلهما الله إلا لهداية البشر، وإنقاذهم من الضلال، وجعل أحسن ما فيهما من الأخبار والأحكام الصحيحة في القران الكريم، ولذلك وصفه جل علاه بالفرقان أي: فرق بين الحق الذي أنزله الله وبين الباطل الذي يدعيه المشركون. قال تعالى: ﴿الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران/ ١-٤] وفى نفس السورة يقول تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٤]ولم تأت جملة الرسالات السابقة إلا بالإسلام فقط، واقرأ قول الله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران/ ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٢] إذًا هدف الرسالات جميعها واحد هو الإيمان بوحدانية الله وجميع كتبه ورسله وملائكته واليوم الأخر، وعدم الشرك به.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وأعظم بها نعمة، دين الخالق سبحانه، ودين سائر الأنبياء، ودين خاتم الأنبياء، فاختار الله أشرف رسالة، وحملها أعظم رسول، وأنزل عليه أصح الكتب، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إلى خير أمة، دين يتمنى الكفار يومئذ أن يكونوا قد اعتنقوه، كما أخبر المولى في القرآن الكريم فقال: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢-٣] وما يمنعهم عن الإسلام إلا المكابرة والعناد، فالحمد لله أن هدانا للإسلام، ونسأله دوام الإسلام، ونسأله كمال الإسلام كيوم أن أتمه علينا المولى سبحانه، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، فنسأله الموت على الإسلام، والبعث على الإسلام، حتى نلقى الله ونحن على دينه سبحانه الذى ارتضى.

* * *

الوصية الثانية: ولا تشركوا بالله شيئا

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء٤٨] ثم شدد المولى على عاقبة المشركين فلم يجعل لهم أملا في دخول الجنة وكانت النار لهم بئس المثوى وبئس المآل قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة ٧٢].

فالشرك هو: اتخاذ العبد من دون الله ندًا يسويه برب العالمين يحبه كحب الله ويخشاه كخشية الله، ويلتجئ إليه ويدعوه، ويخافه ويرجوه، ويرغب إليه ويتوكل عليه، لذا فهو أعظم الموبقات، على الإطلاق، عن أبى عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال كنا عند رسول الله فقال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وشهادة الزور، أو قول الزور، وكان رسول الله متكئا، فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»** [1].

ولعظم هذا الذنب وخطورته، فإن الله سبحانه وتعالى قد أقر في كتابه الحكيم أن كل ذنب يمكن أن يغفر إلا الشرك. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٨]، ووصف الله الشرك بأنه ظلم، وإن الظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين، وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالها منها.

(١) متفق عليه.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل فقد حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح به بابها، وكذلك من أتى بمفتاح لا أسنان له لم يتمكن من فتح بابها به، وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد، وركب فيه أسنانًا من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة، ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به، فلم يعوقه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا، وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده، فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا الطيب قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل٣٢] قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١) [الزمر: ٧١].

الأدلة على وحدانية الله: إن ثبات الكون على نظام واحد لدليل على وحدانية الله، وبديع خلقه ودقة صنعه، فهو يسير بدقة وإبداع ونظام ثابت لا يختل ذلك أن المتصرف في هذا الكون هو إله واحد لا شريك له. اقرأ معي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] إذن نفهم من الآية أنه لو كان هناك آلهة غير الله لفسد نظام الكون واختل، ولحدث نزاع بينهما، فسبحان الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، سبحان الله رب العرش العظيم. الذي لم يتخذ صاحبة لتؤنسه، ولا ولدًا ليخلفه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية.

تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ويؤكد القرآن على حقيقة التوحيد فيقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] وإن من يدعون من دون الله أضعف من أن يستنقذوا حقهم من أضعف مخلوقات الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] فسبحان الأول الذى ليس قبله شيء، والآخر الذى ليس بعده شيء، والظاهر الذى ليس فوقه شيء، والباطن الذى ليس دونه شيء. تبارك وتعالى أحق من ذُكر، وأحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأولى من شُكر، وانصر من أبتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قُصد، وأعدل من انتقم. حكمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته ومنعه عن حكمته وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما للعباد عليه حق واجبُ ... كلا ولا سَعيٌ لديه ضائعُ
إن عُذبوا فبعدله، وإن نُعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسعُ

هو الملك لا شريك له، والفرد الذى لا ند له، والغنى فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، فلا شبيه لـه، ولا سمى له كل شيء هـالكٌ إلا وجهه [(١)].

هو الله لا إله إلا هو فادعوه مخلصين، له الدين، والحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله توحيدًا يخالف عقائد المشركين، لا إله إلا الله تنزيهًا، لا إله إلا الله إقرارًا، لا إله إلا الله يقينا، لا يشوبه تردد المتشككين، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله إسلام من قال له ربه: ﴿أَسْلِمْ﴾. قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا إله إلا الله شهادة نرجو بها مجاورة الرب الكريم، في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا [(٢)].

* * *

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب.
(٢) التبصرة ابن الجوزى.

مظاهر الشرك: للشرك مظاهر عديدة منها:

أ - الذبح لغير الله: (للجن أو للأولياء أو للمشاهد........)

لا يجوز لأنه مظهر من مظاهر الشرك الأكبر، فقد أمر الشارع الحكيم بضرورة كون الذبح لله تعالى فقط، ويظهر ذلك جليًا من أمره سبحانه وتعالى للنبي ﷺ بأن تكون صلاته وذبحه لله فقط، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر/ ٢]، وقال ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢١].

فالفسق: هو الخروج عن ملة الإسلام مثال، أن تقول: باسم سيدى الشيخ، فيجب ذكر الله فقط على الذبيحة.

ب - النذر لغير الله: لا يجوز النذر لغير الله. لقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران/ ٣٥]، وكذا خطابه لمريم ابنة عمران: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم/ ٢٦] كما أن النذر لا يكون إلا لله فإنه يجب الالتزام، والوفاء به متى تحقق الشيء الذي نذر، أو تيسر وعد ذلك من صفات عباد الله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان/ ٧].

جـ - التوسل بالأموات: وهو دعاء الأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم طلبًا لقضاء الحاجات، وتفريج الكرب والاستعانة بهم على الشدائد، فنجد كثيرًا من الناس يتوسلون بالأولياء والصالحين، فيقولون: مدد يا حسين، أويا سيد يا بدوي.. إلخ، من هذه الألفاظ الشركية التى لم ينزل الله بها من سلطان، هذا بالإضافة إلى قيام البعض بالطواف حول قبور الأولياء و طلب العون منهم، ولنا أن نسأل سؤال كيف لهم أن يطلبوا العون من بشر مثلهم، ويتركوا الخالق سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٤]، فهم بشر مثلنا لا يملكون نفعًا ولا ضرًا حتى لأنفسهم، فكيف لغيرهم، والله سبحانه

وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس/ ١٠٦].

د - **تصديق العرافين والكهان**: وهذا دأب السذَّج والجهلاء حيث يقعون فريسة للعرافين والكهان الذين يدَّعون معرفة الغيب وهذا غير صحيح فلا أحد يعلم الغيب إلا الله القائل سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل/ ٦٥] وقال: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩] هذا وقد حكم رسول الله ﷺ على من يذهب إليهم ويصدقهم، ويعتقد النفع في التمائم، والعزائم الشركية، وأنواع من الحرز والودع، وذلك عن طريق تعليقها في الرقاب، أو السيارات، أو البيوت و كذلك اللجوء إلى أبراج الحظ في الجرائد والمجلات، بأنه كافر خارج من الملة لقوله ﷺ: «**من أتى كاهنًا، أوعرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**». (رواه الحافظ أبو بكر البزار بإسناد صحيح وله شواهد أخرى).

هـ - **الحلف بغير الله**: الأصل في الحلف أن يكون بالله، أو بصفة من صفاته، لقوله ﷺ: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله**»، ولكن نظرًا لكثرة الآثام، ونقص الإيمان، وانتشار الكذب، وضياع الأمانة، والتجرؤ على الله سبحانه وتعالى، فقد ابتدعت أيمانٌ وأقسامٌ عدة، فوجدنا من المسلمين من يحلف: بالكعبة، وبالأمانة والشرف، وبركة فلان، ورقبته، وجاهه، وحياته، وبالنبى ﷺ، وبالآباء والأمهات، ورؤوسهن..... إلخ، وكل هذا نوع من أنواع الشرك، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: «**لا والكعبة قال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر، وأشرك**» [1]. وعن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بالأمانة، فليس منا**» [2]. ومن المصائب الكبرى اتجاه كثير من الناس إلى الحلف

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان.

بالطلاق استهتارًا منهم برابطة الزواج وتهاونًا منهم بواجباتهم الشرعية .

و- الرياء (الرئاء): من شروط العمل الصالح أن يكون خالصًا لله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة / ٥].

فالرياء صفة المنافق، ففى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء / ١٤٢]، وبالنظر إلى هذه الآية نجد أن من صفات المنافقين الرياء، فالمنافق مراءٍ ذلك لأنه دائم الحرص على إظهار فعل الخير أمام الناس لينال إعجابهم، ويظفر بتقديرهم ويحتل منزلةً رفيعةً من الحب والإجلال في قلوبهم، وليصير ذكره شائعًا على ألسنتهم، وهذا مظهر من مظاهر الشرك، لأنه يعمل العمل يشرك فيه مع الله غيره، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه»**، ولخطورة الرياء فإن ما يترتب عليه جل خطير ألا وهو حبوط العمل وذهاب الأجر مهما كانت درجة هذا العمل ومكانته، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرئ، فقد قيل ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجلُ تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت، ولكنك فعلت: ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار»** [١].

(١) رواه مسلم كتاب الإمارة .

تحذير للمنافقين من مكر الله : كن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده، ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر أظهر الله تعالى لهم أنهم يجوزون الصراط، وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط، وذلك من جنس أعمالهم، وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه، فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ويبطن له خلافها، وفى الحديث : «**ومن راءى راءى الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به**» (١).

لكن يجب التحذير من ترك الأعمال خشية الرياء قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرىء ما نوى**» (٢). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٩].

(ز) **التوكل على غير الله :** وهو أن يتكل الإنسان على العباد ويعتمد عليهم في أمر من الأمور، أو قضاء مصلحة من المصالح، والاعتقاد بإمكاناتهم في تقدير النفع وجلب المصلحة أو دفع الضرر، وهذا ينافى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم/ ١٢]، فيجب على المسلم أن يتوكل على الله ولا يتكل على غير الله ويعتمد على الله وحده ويؤدي واجبه تاركًا أمره ومفوضًا إياه لله واثقًا في قدرة الله وعظمته القائل عز شأنه : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/ ٣]، فمن يتوكل على الله ويفوض أمره إليه ولا يسأل أحدًا سواه يكفيه الله ويرعاه فإذا علمنا ذلك كله وآمنَّا به فلماذا نتوكل على العباد؟ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٤]، فلقد بيَّن سبحانه وتعالى أن كل ما سواه عبد مسخر محتاج إليه، فكيف ندعو العبد ونتوكل عليه ونترك خالق العباد الذى بيده كل شئ. لذا يجب أن نتوكل على الله ونثق في معونته ونصره، وإنَّ الأذى لن يلحق بنا طالما حَسُن توكلنا

(١) أخرجه البخاري. (٢) البخاري ومسلم.

عليه . فعن أنس بن مالك أنَّ أبا بكر حدثه فقال : «نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال : «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» . (١)

فيجب أن تكون أمور العبد كلها لله خالصةً له : صلاته، وعبادته، وحياته حتى موته فإنه يعود إلى الله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٤] .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي : صلاتى وذبحى وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذى هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها وهو الله تعالى، ومن أخلص في صلاته ونسكه استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله، وقوله : ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي : ما آتيه في حياتى، وما يجريه الله عليَّ في مماتى ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتكبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعًا منا، أو بدعًا آتيه من تلقاء نفسى، بل ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أمرًا حتمًا لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة . ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ من المخلوقين ﴿أَبْغِي رَبًّا﴾ أى : أيحسن ذلك، ويروق بى أن أتخذ غيره مربيًا ومدبرًا والله رب كل شيء فتعين عليَّ وعلى غيرى، أن يتخذ الله ربًا ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين - المخلوقين - الفقراء العاجزين (٢) .

اللهم اجعلنا من عبادك الموحدين، المخلصين لك، واجعل أعمالنا جميعها خالصةً لوجهك الكريم، اللهم طهر أعمالنا من الرياء، وطهر قلوبنا من النفاق، وارزقنا الإخلاص والتوحيد في حياتنا، وعند مماتنا، وعند البعث، وعند الحساب، و اجعلنا ممن يحبون قول الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدى .

الوصية الثالثة: اتقوا الظلم فإن الظلم ظُلمات

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر/ ١٨]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» (١).

فأيها المظلوم كن واثقًا من عدل الله فإن الله مُقتص حقك ولو بعد حين فالله يملى للظالم ويتركه فإن رجع وتاب وأعاد الحقوق لأصحابها فقد اشترى نفسه وبرأت ذمته وإن تمادى في ظلمه فإن عاقبته أسود من الليل البهيم، فعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**» [هود/ ١٠٢] (٢).

ألا يكفى الظلم ذلاً، وامتهانًا أن يكون أخًا للظلام، إنهما من أصل واحد في اللغة والطبيعة والمنشأ، فالظلام يحل حين يرتحل النور، والظلم يُقبل حين يغيب ضياء العقل وصفاء النفس وسلامة الحياة، بل هو للعقل ظلام وللنفس اعتكار وللحياة سقم، لا يصحبه إلا الدمار ولا يجنى منه زارعوه إلا الويل والعار. قال النبى ﷺ: «**اتقوا الظلم فإنه ظُلمات يوم القيامة**» (٣).

والظلم معناه: وضع الشىء في غير موضعه، وأصله الجور، وتجاوز الحد، وقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الظلم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٠] وقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق/ ٢٩].

ففى الآيتين السابقتين نفى الله سبحانه وتعالى الظلم عن نفسه وذلك يدل على إثبات كمال عدل الله، ولم يقتصر الأمر على تنزيه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الظلم، بل إن الله سبحانه وتعالى حرم الظلم وجعله بين العباد محرمًا، ففى الحديث القدسى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم.

فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا...**»[(١)]، وقد جاء في محكم التنزيل أوصاف الظالمين وصفًا دقيقًا محكمًا. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٤٥]، فالظالمون لا يسيرون على طريق الجادة والشرع، بل إنهم لا يكتفون بذلك فيقفون عقبة أمام الصالحين الذين يبغون شرع الله ويدعون الناس إلى اتباع سيرهم الأعوج.

أنواع الظلم: الظلم نوعان:

الأول: ظلم العبد لنفسه وأعظمه هو الشرك بالله تعالى كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان/ ١٣] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٤]؛ لأن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق وعبده مع الله تعالى المنزه عن الشريك، والعبد حين يشرك بالله أو يظلم غيره فإنه يكون قد ظلم نفسه ظلمًا عظيمًا قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة/ ٥٧]، وإن مات العبد على هذه الحالة فمصيره إلى النار والعياذ بالله، ويندرج تحت هذا النوع ارتكاب الكبائر والفواحش والآثام فهى ظلم للنفس ولكنها بين العبد وربه إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

الثانى: ظلم العبد للعبد: لا يتركه المولى فمن كمال عدله سبحانه أن يقتص الخلق بعضهم من بعض يوم القيامة بقدر مظالمهم، وقد تكرر تحريمه والتحذير منه في أحاديث كثيرة، فعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود/ ١٠٢].

* * *

(١) رواه مسلم.

وصورالظلم متعددة أكثر من أن تحصى ومن أشد أنواع الظلم على النفس هو:

- **أكل الحقوق بالباطل وخاصة أكل مال الإرث** قال رسول الله ﷺ : «**من فرط من ميراث وارثه قطع الله ميراثه في الجنة**» (١)، فالحديث يشير إلى التهاون في رعاية الميراث كأن يكون صاحبه من القصَّر الذين لم يبلغوا الرشد بعد أو فاقدى الأهلية لنقص في العقل أو الجنون، فإننا نجد في بعض المجتمعات من يستولي على تركة المورث فإذا مات الوالد استولى أحد الأبناء على تركة الأب وعطل شرع الله فحجب حق إخوته البنات بحجة ألا يذهب مال أبيه إلى الأغراب جالبًا لنفسه ولأبيه الهلكة قال رسول الله ﷺ: «**من ظَلم قيد شبر من الأرض طُوقه من سبع أرضين**» (٢).

وللعلماء أقوال: أن الظلم ولو بمقدار شبر يعاقب يوم القيامة بالخسف إلى سبع أرضين فما بالك بمن يظلم بالقراريط والأفدنة ولا ندم وإن كان المورث هو الذى أوصى بحرمان بناته من التركة فقد اعترض على شرع الله ونعوذ بالله أن نكون من الكافرين ونعوذ بالله من سوء الخاتمة، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن يرضى بشرع الله فنقيم حدوده ونعمل بحكمه ونؤمن بمتشابهه.

- **أكل أموال الناس بالباطل**: قال المصطفى ﷺ : «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمين فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال رجل: وإن كان يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: وإن كان قضيبًا من أراك**» (٣) (السواك).

- **قتل النفس**: التي حرم الله إلا بالحق ولذا قال المولى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٩٣].

- **شهادة الزور**: قال رسول الله ﷺ : «**لا تـزول قدما شاهد الزور يـوم القيامة حتى تجب له النار**» (٤)، فشهادة الزور لا تضر صاحبها فقط، و إنما ضررها

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الوصايا.

(٢) متفق عليه. (٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه ابن ماجه فى السنن فى كتاب الأحكام.

متعدد الآثار فيترتب عليها كثير من المظالم فربما أخذتْ حق إنسان وأعطته آخر لا يستحقه .

- مطل الغنى في سداد دينه :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء / ٥٨] وقال أيضًا : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة / ٢٨٣]. ومن تمام أداء الأمانات أن تؤدى في وقتها المتفق عليه ، لأن التأخير في سدادها مع القدرة عليها وإن توفرت النية في تأديتها نوع من الظلم لأن فيه تأخير للمصالح وربما تؤدي إلي تعطيل فعل الخير الذى يقوم به بعض القادرين فيكون بذلك منع تفريج الكروب على المعسرين والمحتاجين لقول النبى ﷺ : «**مطل الغنى ظلم، وإذا أُتبع أحدكم على مليء فليتبع**» [1] . أتبع : أحيل .

- الحجة (الباطلة) على صاحبها :

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**إنما أنا بشر ، وأنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**» [2] . أى إذا تقاضى خصمان أمام القاضى وأخذ القاضى بحجة أحدهما لفصاحته ، أو لاحتياله حيلة على القاضى ، فقضى له بحق ليس حقه فيكون قد وقع الظلم على أخيه ، فقد اقتطع قطعة من النار ومأواه جهنم وبئس المصير .

- عاقبة الظلم :

إن الله لا يظلم شيئًا فكما تدين تدان قال تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى/ ٤٢]، وإن ندم الظالم وأراد أن يعتذر عما اقترفته يداه، فلن يفيده ذلك : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر/ ٥٢] .

- الظلم يهلك الأمم :

فقد بيَّن القرآن أن عاقبة الظلم وخيمة ليس على مستوى الأفراد فحسب وإنما أيضا يهلك ويدمر الأمم قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه.

لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف/ ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل/ ٥٢] فلا ريب إذن أن إقامة العدل في التعامل بين الناس وتحريم الظلم فيما بينهم من أهم مقاصد وأهداف الإسلام ذلك أن العدل أساس في تشييد صرح أى حكم، أو حضارة كما أن الظلم سبب في انحطاط الأمم وتدمير الحضارات وفقدان السعادة في هذه الحياة ونيل سخط الله في الآخرة.

* * *

الوصية الرابعة: التحذير من شرب الخمر

قــال تــعــالــى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة/ ٩١].

من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث والمنكرات، والتى من أقبحها، وأخبثها الخمر، ومكانة الخمر بين المحرمات مشهورة، فهى أم المحرمات، ورأس الخبائث، وكبيرة من الكبائر، وصدق الله إذ يقول سبحانه عندما وصفها بأنها (رجس) فهذه الآية ذات دلالة واضحة على قطعية تحريم الخمر، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قرن بينها وبين الميسر والأنصاب والأزلام، ووصفها بصفتين:

الأولى: أنها رجس، أي قذارة ونجاسة تعافهما العقول.

الثانية: أنها من عمل الشيطان الذى لا يأمر إلا بمنكر أو إثم، ثم أتبع سبحانه وتعالى هذين الوصفين بالأمر باجتناب هذه المستقذرات وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، و الأمر هنا للوجوب ومخالفته بمعنى عدم الاجتناب يكون حرام.

وكما ورد تحريمها في القرآن الكريم، فقد جاء النص النبوى الشريف القاطع بتحريمها فعنه ﷺ قال: **«كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام»** (١).

ولم يقتصر الأمر على ورود التحريم فقط، بل ورد فيها الوعيد لشاربها، فعن جابر مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: **«إن على الله عز وجل عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»**، وقالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: **«عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»** (٢).

وشمل الوعيد أيضًا كل الوسائل المفضية إلى وصول الخمر ليد شاربها، فعن أنس بن مالك قال: **«لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة**، عاصرها، والمعصورة له، وحاملها، والمحمولة له، وبائعها، والمبيُوعة له، وساقيها، والمستقاة له حتى عد عشرة من هذا الضرب» (٣).

وقد يتساءل المرء عن علة التحريم الواردة في شأن الخمر، فالإجابة أن العلة

---

(١) رواه مسلم كتاب الأشربة. (٢) رواه مسلم كتاب الأشربة.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه للألباني.

في ذلك دفع المضار، وجلب المصالح، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة/ ٩١] فالخمر تثير الشرور، والأحقاد وتئول بشاربها إلى القطيعة بالإضافة إلى ما تسببه من أضرار نفسية وبدنية واقتصادية، وهذه مفسدة دنيوية، وكذا فإنها تلهى عن ذكر الله، وعن الصلاة لغلبة السرور، والطرب بها، وهذه مفسدة دينية.

ولما كانت الشريعة الإسلامية قائمة على جلب المصالح الخالصة والراجحة وعلى درء المفاسد والمضار عن أمة المسلمين، فإنها حرمت كل مادة من شأنها أن تحدث الأضرار سالفة الذكر سواء كانت - هذه المادة - مشروبًا سائلاً، أو جامدًا، أو مسحوقًا، أو مشمومًا مهما اختلفت مسمياتها. لذا فقد حرمت المخدرات والمفترات ووضعتها في صنف واحد مع الخمر، فحرمة المخدرات لا تقل بأى حال عن حرمة المسكرات إن لم تزد عليها، فأضرارها إن لم تكن كأضرار الخمر فهى أشد منها فهى تفتك بالصحة وتدمر الأسرة والمجتمعات، وتخرب الميزانيات الخاصة، والعامة، وتضعف الإنتاج وكل ذلك من أسباب تدهور الأمم القوية.

لماذا يلجأ الإنسان إلى تعاطى المخدرات ؟

أولاً: ضعف الأيمان بالله والتمرد على قضاء الله وقدره، فيصبح هذا الإنسان فريسة للشيطان.

ثانيًا: زعم الإنسان إحساسه بالضياع - نتيجة الفراغ الروحى - إذا اعترضته مشكلة، فيحدث له ألم نفسي يريد أن يتخلص منه فيلجأ إلى وكر الشيطان (تعاطى المخدرات) التى قد تحدث له سعادة وهمية مزعومة، و بعد أن ينقضي مفعولها في الجسم يفيق ويصطدم بالحقيقة ويجد أن المشكلة ما زالت قائمة فيضطر إلى مضاعفة الجرعة، ومن هنا يقع فريسة للإدمان الذى يدمر الجسد والعقل شيئًا فشيئًا، فهو بمثابة الانتحار البطيء، فعن النبى ﷺ قال: **«من قتل نفسه بشيء عذبه الله به يوم القيامة»** [(١)].

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب.

وهذا الشخص ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج/ ١١].

عقوبة من يتعاطى المخدرات: عن جابر عن النبى ﷺ قال: «**إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار»** [(١)] - أو قال: عصارة أهل النار- . وقال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر (أى: سكر) لم يرض الله عنه أربعين ليلة فإن مات مات كافرًا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال**» أى: صديد أهل النار»، وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا الديوث من الرجال والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر، فقد عرفناه فما الديوث قال الذى لا يبالى بمن دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التى تشبه بالرجال**» [(٢)]. فيا بنى: هذه دنيا اختبار، فعليك بالصبر على المحن والتفكير الحكيم واللجوء إلى الله بالدعاء والسعي المحمود للتخلص من همومك. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت/ ١-٢] أى: هل تترك من غير اختبار؟

التداوي بالخمر: شاع في أذهان الكثيرين جوازالتداوي بالخمر من بعض الأمراض، وهذا غير جائز بل محرم؛ لأنه يمكن الاستغناء عنها بالبدائل الأخرى المباحة، ذلك أن الله عز وجل لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها، وقد صرح ﷺ بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها: فقد روى أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: ما أصنعها للدواء فقال: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**» [(٣)].

وصدق رسول الله ﷺ إذ ثبت طبيًا الأضرار الناجمة عن إدمان الكحوليات حيث ثبت أنها تسبب قرحة المعدة، والإثنى عشر، والتهاب الكبد وتليفه، وتضخم عضلة القلب، والتهاب الأعصاب الطرفية والارتعاش، ونزيف المخ،

---

(١) رواه مسلم كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر وأن كل خمر حرام.
(٢) رواه الطبرانى. (٣) أخرجه مسلم فى كتاب الأشربة.

وفقد الذاكرة. وانظر إلى الأثر المعنوي الخطير لإدمان الخمر وهو تبلد المشاعر، والهذيان، فيصبح الرجل سلبيًّا لا يمكنه الحكم على الأمور.

التدخين أول سلم الهلاك: لا شك أن السيجارة هى أولى الخطوات نحو الإدمان وقد يقف عندها وتصبح إحدى عاداته السيئة جاهلا بأضرارها فهى إما أن تحرق ماله أو تحرق ثوبه أو تحرق بدنه.

وانظر معى أثر اشتعال السيجارة: عند اشتعال التبغ تنحل المركبات العضوية ويتكون النيكوتين الذى يسبب ارتفاع ضغط الدم، وزيادة النبض، وتوتر عضلة القلب، وزيادة نسبة السكر في الدم، وسرعة تجلط الدم، وتهيج الأعصاب، ويتكون غاز أول أكسيد الكربون الذى يسبب نقصًا في نسبة الأكسجين في الدم المحمول لخلايا الجسم. والتدخين بوجه عام يسبب السرطان، والتهاب الأغشية المخاطية.

وقد لا يقف المدخن عن تدخين السيجارة فقد تجره إلى إدمان المخدرات وأثرها السيء الذى أشرنا إليه. مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة ١٦٨].

* * *

[فتوى الشيخ د/ نصر فريد واصل] مفتى الجمهورية

التدخين حرام شرعًا

أصدرت دار الإفتاء المصرية حكمًا شرعيًا بالحرمة القطعية للتدخين وذلك في فتواها الصادرة في ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ والموافق ٥ سبتمبر ١٩٩٩م جاء فيها أن العلم قد قطع في عصرنا الحالي بأضرار استخدامات التبغ على النفس لما في التدخين من أضرار تصيب المدخن وغيره ممن يخالطونه ولما فيه من إسراف وتبذير نهى الله عنه. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ويقول عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

وعليه فإن التدخين حرام شرعًا.

مفتى الديار المصرية.
د/ نصر فريد واصل

* * *

الوصية الخامسة: اجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

فاحشة الزنا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء/ ٣٢].

إن من أعقد المشاكل التى تعترض سبيل الاستقامة لدى الذكر والأنثى مشكلة الجنس، فهى من المشاكل التى تؤرقهم، وتشغل أذهان كثيرين منهم، ولذا حرصت جميع الشرائع السماوية على علاج هذه المشكلة بإحصان الجنسين بالزواج، وفى نفس الوقت أجمعت على تحريم الزنا، وقد جاء الإسلام مهيئًا للمسلم كل السبل ليعيش حياة جنسية سليمة متكاملة، فرغب في الزواج وحرم الزنا. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم/ ٢١].

فالزنا فاحشة، وكبيرة من الكبائر لأنه يفسد البيت ويهدم الأسرة، ويضيع النسب، ويكثر اللقطاء وينشر الشرور، ويسبب الأمراض الخطيرة (كالإيدز).

عقوبة الزاني

أولاً: عقوبات في الدنيا

١- **إقامة الحد:** حرم الإسلام الزنى، وشدد في عقوبة مرتكبه، فكان الرجم عقوبة لمرتكبيه من المحصنين - وقد ورد الرجم في السنة النبوية الشريفة، في قصة ماعز وقصة المرأة الغامدية - وكان الجلد عقوبة لمرتكبيه من غير المحصنين. قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور/ ٢] وقد يسأل البعض لماذا فرق الإسلام في العقوبة بين المحصنين وغير المحصنين لمرتكبي جريمة الزنى؟

فنقول: **«إن الإسلام فرق بين الفريقين لما بينهما من اختلاف في الحاجة، وقوة الدافع، فالمحصن - وهو المتزوج - قد جعل الإسلام عقوبته الرجم سواء في هذا الرجل أو المرأة، لأن الزواج من شأنه أن يكسر حدة الشهوة المتسلطة على الإنسان، فإقدام المحصن على الزنا ليس مثل إقدام غير المحصن الذي تتسلط عليه شهوة قاهرة، إن قدر على مغالبتها فالمحصن أولى منه للتغلب عليها.. ومن هنا كانت عقوبة**

غير المحصن الجلد مائة جلدة على حين كان حد المحصن الرجم، ومن جهة أخرى فإن المحصن عادة يكون قد بلغ مبلغ الرجال وسكن إلى أسرة تضم زوجته و أبناءه الأمر الذى يدعوه إلى أن يجنب نفسه الخزي والفضيحة بين أهله و أبنائه، فلا يقدم على الفاحشة، وكما شددت الشريعة على عقوبة الزنا، فإنها سدت الطرق المؤدية إلى الزنى ودواعيه من النظر واللمس و السفور والخلوة بالأجنبيات وغلاء المهور، والذي من شأنه عزوف الشباب عن الزواج ووقوعهم فريسة سهلة للشيطان ومكائده.

٢- **الفقر في الدنيا**: قال رسول الله ﷺ: «**الزنا يورث الفقر**» [(١)].

٣- **يصاب الزاني**: بأمراض خطيرة كالإيدز.

٤- **يكون مكروها**: عند الله وعند الناس.

ثانيا: عقوبات في الآخرة:

١-يذهب الله بنور وجهه فيمحى من على وجهه علامات الصلاح يوم القيامة.

٢-يجئ يوم القيامة مشتعلا وجهه بالنار قال رسول الله ﷺ: «**إن الزناة تشتعل وجوههم نارًا**» [(٢)].

٣- يجئ وجهه مسودًا ويخلد في النار إن مات مصرًا على الزنا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧]

الوقاية وطرق العلاج:

وللوقاية من الزنى والوقوع فيه وضعت الشريعة الإسلامية قواعد وأسس من شأنها وقاية الفرد من الوقوع في الزنى وهى كالآتي:

١- **التربية السليمة والتوجيه الحسن**: فمن صان أعراض النساء صان الله عرض أهل بيته قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى/ ٣٠].

ويروى أنه في عهد رسول الله ﷺ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس

---

(١) رواه البيهقى.

(٢) رواة الطبرانى بإسناد فيه نظر.

بين أصحابه، فقال يا رسول الله: أريد أن أزني بفلانة فهب الصحابة على الرجل وكادوا أن يفتكوا به، فطلب الرسول أن يتركوه، وقال الرسول ماذا تريد ؟ قال الرجل: أريد أن أزني بفلانة، قال الرسول أتحب أن يُفعل بابنتك ؟ قال: لا، قال: أتحب أن يفعل بزوجتك ؟ قال: لا، قال أتحب أن يفعل بأمك ؟ قال: لا، فانصرف الرجل وقد أصبح الزنا أبغض شيء لديه» (تأمل الحكمة في معالجة الأمور)، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ . [النحل / ١٢٥]

٢- **غض البصر وحفظ الفرج:** فقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات على السواء بغض البصر وحفظ الفرج فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور/ ٣٠-٣١]

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ارشد المؤمنين، وقل لهم: إن الذين معهم إيمان، يمنعهم إيمانهم من وقوع ما يخل بإيمانهم ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها والنظر إليها، ﴿ذَٰلِكَ﴾ لحفظ الأبصار والفروج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أطهر وأفضل وأنمى لأعمالهم، فمن ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه، ومن غض بصره عن المحرم أنار الله بصيرته. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن السعدي).

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرةً منه لأزاوجهن عباده المؤمنين وتمييزًا لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثه

فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات، فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن، وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ (١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال كتب على بن آدم نصيبه من الزنا مدركًا ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، الأذنان زناهما الاستماع، اللسان زناه الكلام، اليد زناها البطش، الرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**» (٢).

وقال الطبراني عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ «**إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**»، وقد ذهب الرسول إلى أبعد من ذلك، فقد حرم نظرة الرجل إلى عورة الرجل، ونظر المرأة إلى عورة المرأة، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضى المرأة إلي المرأة في الثوب الواحد**». (٣) ومعنى الإفضاء أي: لا يجوز أن ينام الرجلان في غطاء واحد وهما عريانان وكذلك المرأتان خشية حدوث فاحشة.

٣- النهى عن السفور والالتزام بالحجاب: فإن في السفور والتبرج إظهار وإبراز للمفاتن والمحاسن يجب ألا تظهر إلا للزوج فإذا ما كانت تلك المفاتن مكشوفة أمام الناظرين بقصد وبغير قصد، فقد تجر إلى مقدمات الزنا ولذا كان الأمر في القرآن ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢] وبذلك تسد الشريعة كل الطرق المؤدية إلى الفاحشة.

٤ - تحريم الخلوة بالأجنبيات: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

(١) تفسير ابن كثير سورة النور. (٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب / ٥٣]، وجاء الحديث الشريف يحرم الاختلاط بين الرجل والمرأة إلا مع ذى محرم وما انتشر الاختلاط في أمة إلا ذابت الغيرة والعفة والرجولة وفقدت خصائص الذكورة والأنوثة والحديث نصه قاطع .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو مَحَرم»** [(١)] .

٥ - الحث على الزواج لمن استطاع الباءة : والتيسير على الشباب في الزواج فعن عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ : **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** [(٢)] (وجاء : وقاية)، وقال تعالى : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور/ ٣٣] ويعنى ذلك الاستعفاف لمن لم يستطع القدرة على الزواج .

٦ - عدم المغالاة في المهور : قال رسول الله ﷺ : **«إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير»** [(٣)] .

قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله : يجب على الولى (ولى الأمر) أن يراعى خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها ولا يكافئها في نسبها . قال رسول الله ﷺ : **«إذا جاءكم ذو الدين فأنكحوه إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»** [(٤)] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **«سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله** وحسن الخلق ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج» [(٥)] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحج باب سفر المرأة.
(٢) صحيح مسلم كتاب النكاح.
(٣) رواه الترمذى . (٤) رواه الترمذى.
(٥) رواه الترمذى.

فاحشة اللواط: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء/ ١٦٤-١٦٦] فاللواط أفحش من الزنا وأقبح قال تعالى مخبرًا عن قوم لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف/ ٨١] مسرفون: أى تكثرون من الذنوب وقد أهلك الله قوم لوط بفعلهم الخبيث قال رسول الله ﷺ: «**أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله، قلت من هم يا رسول الله قال المتشبهون بالرجال من النساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال**»[١].

وفى مذهب الأئمة مالك والشافعى وأحمد أن حد اللواط هو حد الزنا سواء قياسًا عليه[٢].

رمى المحصنات الغافلات: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور/ ٢٣] ثم يبين الله حد الذين يرمون المحصنات وهو الجلد، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور/ ٤]

ورمى المحصنات الغافلات: أى: اتهام المرأة بالزنا وهى بريئة وكذلك اتهام الرجل بالزنا، وهو برئ، وقد توعد الله من يتهم المسلم، أو المسلمة بالزنا ظلمًا باللعنة في الدنيا أى: الطرد من رحمة الله وبالعذاب العظيم في الآخرة، والذين يرمون المحصنات دون بينة وهى أن يأتوا بأربعة شهداء يقام عليهم الحد، وهو الجلد ثمانين جلدة، ولا يجوز قذف المسلم بالباطل، حتى وإن كان مملوكًا فقال رسول الله ﷺ: «**من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال**»[٣].

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقي عن طريق محمد بن سلاب الخزاعى .
(٢) الكبائر للحافظ الذهبى ..
(٣) صحيح البخارى كتاب الحدود .

ويستمر العقاب المعنوى الممتد المفعول حيث لا تقبل لهم شهادة، ويعتبر قذف المحصنات من الكبائر مصداقًا لقول النبى ﷺ : **«اجتنبوا السبع الموبقات»** قالوا: وما هن يا رسول الله ؟ قال ﷺ: **«. . . . . وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»** [١].

ومن أبشع صور قذف المحصنات اتهام الأنبياء والصالحين بالزنا ومن الأمثلة الواضحة على ذلك اتهام سيدنا يوسف في امرأة العزيز، والسيدة مريم العذراء والسيدة عائشة رضى الله عنها زوجة الحبيب المصطفى ﷺ؛ الذين برأهم الله في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج/ ٣٨].

* * *

(١) البخارى ومسلم.

الوصية السادسة: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات / ١٢].

اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد يجر الكلام إلى حرام، أو مكروه. أى قد يتحول الكلام المباح إلى غيبة.

والغيبة إذن: ذكرك أخاك بما يكرهه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه، أو خلقه، أو فعله، أو في دينه، أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته. فعن أبى هريرة رضى الله أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**». قيل: أفرأيت إن كان في أخى ما أقول ؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**». [1] أى: (افتريت عليه الكذب).

ولا يقتصر معنى الغيبة على الذكر باللسان والإطلاق بالقول والنطق فقط وإنما يتسع حتى يشمل التعريض والتلميح والإشارة والهمزة والكتابة، والحركة... إلخ، وما كان تحذير رسول الله ﷺ من الغيبة إلا لأنها: شرر يتطاير من الألسنة فيحرق القلوب، ويفسد العلاقات والروابط بين الناس ويورث فيهم الحقد والفتنه، فهى قبيحة من القبائح التى لا تليق بالعاقل الرشيد والنابه الحصيف أن يسعى إليها، ولا أن يكون سبيلُها ولا يسمح بأن تجرى وتمتد في حضوره وعلى مسمعه، وكما تحرم الغيبة على القائل تحرم أيضًا على المستمع قال رسول الله ﷺ: «**المستمع أحد المغتابين**» [2].

فيجب على من سمع غيبة محرمة أن ينهى عنها إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن لم يستطع فيجب أن يفارق المجلس إن أمكن.

---

(١) صحيح كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، وسنن أبى داود وسنن الترمذى.
(٢) رواه الترمذى.

أما النميمة: فمعناها نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد، لذا فقد ذم الله سبحانه وتعالى صاحب هذه الفعلة بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم/ ١٠-١١] فالسعى بين الناس بأخبار السوء بقصد الفتنة، والإيقاع بينهم، من أخبث الصفات، وأنذل الهيئات التى تلتصق بالنفس البشرية، ويكفى النمام خسة أنه يزرع الأمراض في النفوس الصحاح، فيكون كالجرثومة التى تنقل الوباء، وكالشرارة التى توقد نيران الحقد والعداوة بين الناس لذا كان عقاب النمام العذاب، والحرمان من دخول الجنة: فعن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ: مر بقبرين فقال: **«إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير! بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله»** (١).

قال العلماء: معنى: **«وما يعذبان في كبير»** أى: كبير في زعمهما، وقيل: كبير تركه عليهما. وعن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة نمام»** (٢).

كفارة المجلس: قال رسول الله ﷺ: **«من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك إلّا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»** (٣).

* * *

(١) متفق عليه.
(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان.
(٣) رواه أبو داود والترمذى.

الوصية السابعة: ذروا ما بقى من الربا

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة / ٢٧٥]

والآية فيها وصف آكل الربا حيث يُبعث يوم القيامة كالمجنون يتخبط، وفيها وعيد عظيم بالخلود في النار لمن عاد إلى الربا بعد الموعظة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والربا: هو الحصول على زيادة على رأس المال بغير وجه حق عن طريق القرض، وهو محرم شرعًا، وقد حث القرآن الكريم على تفريج كربة المؤمن في الدنيا بلا مقابل وطلبًا للأجر والثواب في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٠-٢٨١].

وعن أبى أُمامة أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو ليضع عنه»** [(١)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«من أراد أن تُستجاب دعوته، وأن تُكشف كربته فليفرج عن معسر»**. أخرجه الإمام أحمد، وعلى العكس من ذلك فقد توعد الله آكل الربا بالحرب فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢٧٨-٢٧٩]، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فعن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فقال: **«ألا كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وأول ربا موضوع**

---

(١) أخرجه الطبراني.

ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله»، وأكل الربا يعد من الموبقات أي المُهلكات، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله: وما هن قال الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (١).

أنواع الربا:

أ- ربا النسيئة: وهو الشائع بين الناس والمقصود به الزيادة المشترطة نظير تأجيل الدين للدائن، والقاعدة الفقهية تقول: **«كل قرض جر منفعة، فهو ربا»**. أي: إذا أقرضت شخصًا مبلغًا واشترطت أن يرده إليك بفائدة، أو زيادة معينة، أو أن تستغله في أعمال خاصة بك، فهو ربا.

ب- ربا الفضل: وقد حدده الرسول ﷺ بستة أصناف وهى الذهب، والفضة والقمح، والشعير، والتمر، والملح، وقد حرم فيها الزيادة فعند تبادلها يتم التبادل وزنًا بوزن، ومكيالاً بمكيال، فعن أبى سعيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أبى، الآخذ والمعطى سواء»**. رواه أحمد والبخاري.

فلا يجوز تبديل مكيال قمح من صنف معين بمكيال ونصف من صنف آخر بحجة أن أحدهما رديء والآخر جيد، ولكن يمكن تحديد سعر لهذا الصنف وسعر للصنف الآخر على أن تتم المبادلة في ذات الوقت دون تأجيل، وفيما عدا هذه الأصناف يجوز البيع بالتفاضل (التقايض) والنسيئة.

أبواب الربا كثيرة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«الربا سبعون جزءًا أيسرها أن ينكح الرجل أمه»** (٢)، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«يأتى على الناس زمان يأكلون الربا»** قال قيل له الناس كلهم؟ قال: **«من لم يأكله**

(١) رواه البخارى ومسلم فى كتاب الإيمان.
(٢) رواه ابن ماجه.

ناله من غباره» [١].

ولذلك فيجب علينا أن نتحرى الحلال ونبتعد عن الحرام ما استطعنا، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيّن، والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه**» [٢].

* * *

الوصية الثامنة: تحصنوا بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ۝ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر/ ٣٢-٣٤]

واقرأ معى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر / ٦]

كيف نتخلص من الشيطان؟

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف/ ٢٠٠]. النزغ: الوسوسة والتشكك في الحق.

١- قراءة آية الكرسي:

كما نفهم من حديث أبى هريرة «.... **دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هى؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح**»، وكان قائل تلك الكلمات شيطان، فقال الرسول ﷺ: «**قد صدقك وهو كذوب**» [٣].

٢-الدعاء

«**بسم الله الذى ليس منه شيء ممتنع وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام وبسلطان الله المنيع نحتجب بأسماء الله الحسنى كلها عائذًا من الأبالسة ومن شر شياطين الأنس**

---

(١) رواه النسائي وأبو داود. (٢) البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

والجن ومن شرما يسرح بالليل ويكمن بالنهار، ومن شر ما يسرح بالنهار، ويكمن بالليل، ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم أعوذ بالله مما استعاذ منه موسى، وعيسى، وإبراهيم الذى وفى، من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغى» .

٣- المداومة على أذكار الصباح والمساء

وأذكار الخروج من المنزل ودخوله ودعاء دخول الخلاء .

٤- دعاء النوم :

«إذا أخذت مضجعك توضأ وضوئك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم : إنى أسلمت نفسى إليك وأفوض أمري إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك، أمنت بكتابك الذى أنزلت، ورسولك الذى أرسلت فإن مت مت على الفطره» .

٥- آيات الرقية :

ذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن على قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل شيطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضال، ومن كل لص عاد : آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ.....﴾ [الأعراف : ٥٤] وعشرة من الصافات، وثلاث آيات من الرحمن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ....﴾ [الرحمن : ٣٣] ، وخاتمة سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ.....﴾ .

٦- قراءة المعوذتين :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : **«كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما، وترك ما سواهما»** [(١)] .

٧- رقية سيدنا جبريل للرسول عليه السلام :

«بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل نفس، أو عين حاسدِ الله يشفيك، باسم الله أرقيك» [(٢)] .

---

(١) رواة الترمذى وقال حديث حسن.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

٨- رقية الرسول ﷺ للحسن والحسين :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : **«إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل، وإسحق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»** أخرجه البخارى .

تطهير المنزل من الشياطين :

١- تطهير البيت من الصور، والتماثيل، والروائح الكريهة، والموسيقى والأغانى المثيرة، والفاحشة .

٢- تطييب المنزل بالبخور، والطيب، والروائح الذكية .

٣- قراءة سورة البقرة لقوله ﷺ : **«لا تجعلوا بيوتكم كالمقابر، فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان»** [1] .

* * *

الوصية التاسعة: بر الوالدين

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٤] .

لما نهى الله عن الشرك به أمر بالتوحيد فقال : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينيًا، وأمرًا شرعيًا حتميًا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ أمرًا لأهل الأرض والسماوات والأحياء والأموات ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال : ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أى : أحسنوا إليهم بجميع وجوه الإحسان القولى، والفعلى لأنهما سبب وجود العبد، ولهم من المحبة للولد والإحسان إليه ما يقتضى تأكد الحق ووجوب البر ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي : إذا وصلا إلى حد الكبر الذى تضعف فيه قواهما ويحتاجان إلى اللطف والإحسان ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وهذا أدنى مراتب الأذى أي لا تؤذهم أدنى أذى أو شر ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أى : لا تزجرهما وتتكلم

(١) رواه مسلم .

لهما كلامًا خشنًا، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما، وتطمئن به نفوسهما.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما ذلاً لهما ورحمة واحتسابًا للأجر لا للخوف منهما، أو الرجاء لما عندهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ أي: أُدع لهما بالرحمة أحياء وأمواتًا جزاءً على تربيتهما إياك صغيرًا.

ونفهم من ذلك أنه كلما ازدادت التربية- جهدًا وبذلاً من المال - ازداد الحق- في الطاعة والإحسان إليهما- وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية.

١- الله يوصى الوالدين على أولادهم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/ ٣١]

ومن جميل فضل الله علينا ورحمته بعباده أنه كان أرحم بهم من والديهم، فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق لأنه تكفل برزق الجميع وأخبر أن قتلهم كان خطئًا كبيرًا، أى: من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب والعقوق العظيم والتجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يحدث منهم ذنب أو معصية [(١)].

٢- «أنت ومالك لأبيك»، فلا يجب أن يبخل الولد بماله عن أبيه، بل إن الوالد من حقه أن يتصرف في مال ابنه كما يشاء إلاّ أن يكون الأب سفيهًا، أو ظالمًا فيأخذ مال أحد الأبناء فيعطيه للأخر دون حاجه له فيه.

٣- اغتنم حياة والديك ونل مغفرة الرحمن واضمن الجنة قبل موتهما: فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه، أو كلاهما عند الكبر، ولم يدخل الجنة»** [(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد/ ٢١].

٤-كيف تعامل والديك وإن أساءا إليك: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن

(١) تيسر الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدى بتصرف بسيط.
(٢) رواه مسلم.

رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم، ويسيئون إليّ، وأحلمُ عنهم ويجهلون علَى، فقال: **«لأن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»** (١).

وتسفهم المل أى: تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم، ولا شيء على المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه.

ونلاحظ أن المصطفى عليه السلام لم يأمره بقطع صلته بأقاربه فما بالك إن كانوا والديه، فهما أولى بدوام المعروف إليهما وإن أساءا إليه بل إن القرآن الكريم يأمرنا بحسن صحبتهم حتى وإن كانا من المشركين قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان/ ١٥].

٥- بر الوالدين وصلة الرحم أحد أبواب الرزق: عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»** (٢)، ومعنى **«يُنسأ له في أثره»** أى: يؤخر له في أجله وعمره أى: يبارك الله في عمره ويعطيه ذرية صالحة يدعون له بعد وفاته وانقطاع عمله.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها»** (٣).

٦- بر الوالدين أحد أبواب الجهاد:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: **«أحيّ والديك؟»** قال: نعم، قال: **«ففيهما فجاهد»**. وعنه أيضًا قال: أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى. قال: **«فهل لك من والديك أحد حيّ؟»** قال: نعم بل كلاهما، قال ﷺ: **«تبتغى الأجر من الله تعالى؟»** قال: نعم. قال ﷺ: **«فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما»** (٤).

(١) رواه مسلم كتاب رياض الصالحين باب بر الوالدين.
(٢) متفق عليه. (٣) رواه البخارى.
(٤) متفق عليه.

٧- شكر الوالدين من شكر الله قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان/ ١٤]، وهنا الشكر لله مقرون بالشكر للوالدين فلا يقبل الله الشكر له من غير شكر الوالدين، وانظر إلى التعقيب الإلهي: ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ حيث إليه المئاب، فإما ثواب وجنة وإما عقاب ونار.

٨-فضل بر الوالدين:

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**»[١]، وهذا من رحمة الله بالوالدين والأولاد إذ بين الوالدين وأولادهم من الارتباط والصلات ما لا يشبهها صلة، والإحسان للوالدين لا يؤديه إحسان أحد من الخلق، وحاجة الأولاد الدينية و الدنيوية إلى القيام بهذا الواجب وفاءً بالحق واكتسابًا للثواب وتعليمًا لذريتهم أن يعاملوهم بما عاملهم به والديهم، وهذه الأسباب وما يتفرع عنها موجب لجعل رضاهما مقرونًا برضا الله وضده بضده[٢].

٩- لا تسبوا أباءكم: قال رسول الله ﷺ من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا يا رسول الله: هل يشتم الرجل والديه! قال: «**نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**»[٣].

وقد يكون ذلك على سبيل المزاح، أو في السوق، أو الشارع، عفانا الله وإياكم أن نسب آباءنا.

١٠-همسات في آذان الأباء والأمهات حتى يبركم أولادكم: يقول الرسول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

أ- العدل بين الأبناء قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[٤].

والعدل يكون في الأشياء المادية والأشياء المعنوية، فيجب العدل حتى في

---

(١) أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان والحاكم.
(٢) كتاب جوامع الأخبار لعبد الرحمن السعدى.
(٣) رواه البخارى ومسلم. (٤) رواه البخارى ومسلم.

القبلة والابتسامة وعدم التفريق بين الذكور والإناث حتى لا نورث الكراهية في نفوس أبنائنا في الصغر فيؤدي ذلك إلى العقوق في الكبر.

ب- العدل في الميراث: يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء/ ١١] وفي آخر نفس الآية: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١١-والوالدين أيضًا في حاجة لدعاء الأبناء: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (١).

فأحسنوا إلى أولادكم في حياتكم يبروكم في مماتكم، وتصلكم دعواتهم بالرحمة في قبروكم.

١٢- مواقف في بر الوالدين: كان أبو هريرة رضى الله عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه فقال: «السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتنى كبيرةً، وإذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك».

-كان ظبيان بن على أبر الناس بأمه فباتت ليلة في صدرها عليه شيء، فقام على رجليه قائمًا يكره أن يوقظها ويكره أن يقعد حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانه فما زال معتمدًا عليهما حتى استيقظت من قبل نفسها (٢).

وعن ابن عوف أن أمه نادته فأجابها فعلا صوته على صوتها، فاعتق رقبتين.

وقال بشر الحافى: الولد يقرب من أمه بحيث يُسمع أمه أفضل من الذى يضرب بسيفه في سبيل الله، والنظر اليها أفضل من كل شيء.

كلمات إلى قلب العاق عسى أن يرق:

الويل كل الويل لعاق والديه والخزى كل الخزى لمن ماتا غضبانين عليه، أُف له، هل جزاء المحسن إلا الإحسان إليه، أتبع الآن تفريطك في حقهما أنينًا وزفيرا ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ كم ليلة سهرا معك إلى الفجر يداريانك

---

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية.

(٢) كتاب التبصرة أبي فرج الجوزى.

مداراة العاشق في الهجر، فإن مرضت أجريا دمعًا لم يجر، تالله لم يرضيا لتربيتك غير الكف والحجر سريرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ يعالجان أنجاسك، ويحبان بقائك، ولو لقيت منهما أذى شكوت شقائك، ما تشتاق لهما إذا غابا، ويشتاقان لقاءك، كم أطعماك حلوًا وجرعتهما مريرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ أتحسن الإساءة في مقابلة الإحسان، كيف تعارض حسن فضلهما بقبيح العصيان، ثم ترفع عليهما صوتًا جهيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ تحب أولادك طبعًا، فأحبب والديك شرعًا، وارع أصلاً أثمر لك فرعًا، وأذكر لطفهما بك، وطيب المرعي أولاً وأخيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ تصدق عنهما إن كانا ميتين، وصل لهما وأقض عنهما الدين، واستغفر لهما، واستدم هاتين الكلمتين وما تُكلف إلاً يسيرًا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [(١)].

ماذا يصنع من مات أبويه:

إن كان بارًا بهما ضاعف الله له أجره وإن كان قد فاته برهما في الدنيا عسى الله أن يكفر عنه سيئاته ويتوب عليه إن رجع وأناب.

١- نستلهم من الفقرة الأخيرة أن الصلاة لهما رحمة ومغفرة لذنوبهما.

٢- قضاء الدين عنهما إن كان عليهما دين.

٣- الاستغفار لهما كثيرًا والدعاء لهما بهذا الدعاء الرباني ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾.

٤- أن تحج عنهما إن كنت تستطيع إن لم يكونا قد حجا قبل موتهما.

٥- إكرام صديقهما والوفاء بعدهما كما جاء في حديث الرسول ﷺ عن أسيد أن رجلاً قال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شيء بعد موتهما؟ قال: **«نعم، خصال أربع: الدعاء والاستغفار لهما، وإيفاء عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما»**.

٦- صلة أهل ودهما. روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن توفى»**.

---

(١) كتاب التبصرة لأبي فرج الجوزي.

وأخيرًا وصية من معلم الإنسانية الأعظم للوالدين بأولادهم وللأولاد بآبائهم .

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : **«إن لله تعالى عبادًا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم»** قيل له : من أولئك يا رسول الله ؟ قال : **«متبرىء من والديه راغب عنهما ، ومتبرئ من ولده ، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم و تبرأ منهم»** (١) .

فانظر هذا التحذير النبوى أن يتبرأ الولد من والديه أو يميل عنهما فيتركهما دون رعاية وكذلك تحذير للوالد أن يتبرأ من ولده أو ينكره فيتركه يتلطم في هذه الدنيا فهؤلاء لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم وكلنا يوم القيامة متلهف وفى أشد الحاجة لكلام مالك الملك ومالك يوم الدين .

اللهم اجعلنا من البارين بأولادنا الراعين لحقوقهم . اللهم اجعلنا من البارين بوالدينا الراعين لحقوقهم والمحسنين إليهم في حياتهم وبعد مماتهم . وعن معد يكرب عن النبى ﷺ قال : **«إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب»** (٢) .

* * *

الوصية العاشرة: وأقيموا الصلاة

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود١١٤]

الصلاة : هي الركن الثانى بعد الشهادتين : ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم : ٣١] والصلاة صلة بين العبد وربه ، وهي وسيلة حمد وشكر لله تعالى على نعمه ، الصلاة معراج الروح لكل مسلم ، وهى دعاء ورجاء إلى الله فإذا أراد العبد أن يناجى ربه فعليه بالصلاة ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ : **«إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضة شيء قال الرب تبارك وتعالى : أنظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما أنتقص**

(١) رواه أحمد فى مسنده.
(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عيان.

من فريضة ؟ ثم يكون سائر عمله على ذلك» [١] .

الفاتحة أم الكتاب ركن من الصلاة : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : **«من صلى صلاة، ولم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج - ثلاثًا - غير تمام»** [أخرجه مسلم] وعن أبى هريرة عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهى السبع المثاني، وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدي ما سأل»** [٢] .

الصلاة صلة بين العبد وربه : -

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : **«قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال : العبد الحمد لله رب العالمين . قال الله تعالى : حمدني عبدي، وإذا قال : الرحمن الرحيم، قال الله تعالى : أثنى على عبدى، وإذا قال : مالك يوم الدين، قال الله تعالى : مجدنى عبدي، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال الله تعالى : هذا بينى وبين عبدى ولعبدي ما سأل، فإذا قال إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدى ما سأل»** . رواه مسلم كتاب الصلاة .

فيا سعادة عبد تقبل الله منه ذلك ويا فرحة نفسه وبهجتها يقول ربه عبدى ثلاث مرات : حمدني عبدى، أثنى على عبدى، مجدني عبدى، فلولا ما على القلوب من غشاوة الشهوات وغيوم المادة لأدركت النفوس فرحتها بنداء ربها .

الخير العميم والثواب الجزيل في الصلاة فلا تكن من المحرومين :

الصلاة كلها خير منذ أن يؤذن لها المؤذن حتى تفرغ من أدائها مليئة بالخيرات الحسان، فتعال لنرى جانبًا من ذلك الخير :

في الأذان : عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة»** [٣] .

أى شرف وأي فخر حازه من أذن للصلاة، وقد أمر الرسول ﷺ المؤذن أن يرفع صوته فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له

---

(١) رواه الترمذى كتاب الصلاة . (٢) أخرجه النسائي .
(٣) رواه مسلم .

يوم القيامة .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»** [١] .

ومن منا ليس في حاجه لشفاعة المصطفي يوم الهول العظيم؟

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : **«الدعاء لا يرد بين الأذان والأذان»** . رواه أبو داود و الترمذى

شرف وعزة للمؤذن، ومغفرة وشفاعة لمن يردد النداء، ثم يسأل الله المقام المحمود للرسول، ثم استجابةً من الله للدعاء بين الأذان والإقامة، أي خير ينعم فيه المسلم وأي خير يغفل عنه الضالون اللاهون في الدنيا، اللهم لا تحرمنا ذلك الخير كله .

فضل الوضوء : فإذا سمع المسلم النداء وقام ليتوضأ أو توضأ قبل الآذان انتظارًا للصلاة كان في انتظاره الخير الكثير .

الوضوء يكفر الذنوب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب»** [٢] .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال، حدثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غُفر له»** [٣] .

وفى الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال : **«من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من**

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد.

ذنبه» [١].

انظر كيف تتساقط الذنوب تباعًا مع ماء الوضوء من كل أعضاءك حتى إذا انتهيت من الوضوء، كنت نقيًا تمامًا من ذنوبك، ويكفى أن نعلم أن الرسول ﷺ أخبر الصحابة رضي الله عنهم عن الذين يحسنون الوضوء من بعده أنهم أصحابه يعرفهم يوم القيامة؛ لأنهم غُرٌّ محجلين فيسقيهم من حوضه الشريف بيده.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ما فيكم من أحد يتوضأ أويسبغ الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**» [٢].

فالوضوء نظافة للبدن وراحة للنفس وتجديد للعهد مع الله وإقبال على الله بنفس ذكية وبدن نظيف طاهر واستعداد للوقوف بين يدى الخالق العظيم.

ويحذرنا الرسول عليه السلام من الإسراف في ماء الوضوء ففى حديث عمرو بن أبيه، عن جده رضى الله عنهم قال: «**جاء أعرابي إلى النبى ﷺ** سأله عن الوضوء فأراه ثلاثًا ثلاثًا قال: «**هذا الوضوء، من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**» [٣].

وحديث آخر حذر الرسول ﷺ سعد بن أبى وقاص من السرف في الوضوء «**ولو كنت على نهر جار**».

وأخيرًا إليك هذه البشرى العظيمة من الرسول العظيم قال النبى ﷺ: «**ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليها بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة**» [٤].

فضل المشى إلى الصلاة:

عن أبى بن كعب قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدًا أبعد من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء (وقت الحر الشديد) قال: ما يسرنى أن منزلى إلي جنب المسجد، إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلى فقال

---

(١) تفسير ابن كثير سورة الروم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد والنسائي.
(٤) رواه مسلم كتاب الصلاة.

رسول الله ﷺ : «قد جمع الله لك ذلك كله» (١) .

فضل الصلاة وأهميتها : الصلاة آية الإيمان : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ،** قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة ١٨] .

- **الصلاة أمان في الدنيا والآخرة قال تعالى :** ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج١٩ : ٢٣] .

الصلاة تمحو السيئات :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبى ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود ١١٤] فقال الرجل : إلى هذا ؟ قال : «**ولجميع أمتى كلهم**» (٢) .

الصلاة تنهى عن سوء الخلق وتهدى إلى أحسنه :

فعندما تسجد وتضع وجهك وأنفك على الأرض في تذلل فإنك تعترف بكبرياء الواحد الأحد وتسلم له نفسك وفى هذا عزة المسلم وجاهه ومنهاة عن التكبر على الخلق ، فالناس أمام الواحد الأحد سواء غنيهم وفقيرهم ، عظيمهم وحقيرهم .

الصلاة لا تسقط عن المسلم أبدًا صحيحًا أو سقيمًا ، مقيمًا أو مسافرًا :

عن عبد الله بن بريدة أن عمران بن حصين سأل رسول الله ﷺ : وكان به بواسير عن الصلاة فقال : «**صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك**» (٣) . وعن عبد الله بن بريدة قال سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا فقال : **إن صلى قائما فهو أفضل ، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم ، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد**» . أخرجه البخارى في كتاب الصلاة باب

---

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه البخارى.

صلاة القاعد.

فهل بعد هذا نتهاون في الصلاة ونتكاسل عنها. اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل وخاصة عن الصلاة، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وأخيرًا فإن الصلاة كلها دعاء فمن الأولى أن يدعو الإنسان في صلاته فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ومن الدعاء الوارد عن المصطفى ﷺ بعد قراءة التشهد عن أبى هريرة رضى الله عنه **«اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا، والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»** (١)، وبين السجدتين يقول: **«رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى واجبرنى»** (٢).

التحذير من ترك الصلاة:

ما من مسلم عاقل إلا ويدرك أهمية الصلاة وأهمية المحافظة عليها فالقرآن الكريم يحذرنا من ترك تلك الفريضة بل يحذرنا من التكاسل عنها أو التهاون فيها يقول ربنا عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم ٥٩-٦٠] ويفسر بعض المفسرين ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أى: أخروها عن وقتها وليس تركها بالمرة. والغى هنا هو واد في جهنم لتارك الصلاة، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بين الرجل و بين الكفر ترك الصلاة»** (٣).

وليس للمسلم عذر في عدم المحافظة على الصلاة يقول الله عز وجل ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٣٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: **«من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف»** (٤).

لاحظ معى أن هذا الحديث ليس عن تارك الصلاة، ولكن عن جزاء نوعين

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التعوذ من عذاب القبر.
(٢) أخرجه أبو داود، وابن ماجه. (٣) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.
(٤) رواه أحمد والطبرانى وابن ماجه.

النوع الأول يحافظ علي الصلاة فكان جزاءه أن الصلاة كانت له يوم القيامة، نورًا وحجة ونجاة من الأهوال، وكانت له شافعة كما ورد في حديث آخر.

أما النوع الثانى الذى لا يحافظ على الصلاة، فقد فقد النور والحجة والنجاة، وكان مصيره الهلاك، بل حشر مع أشر خلق الله، وهم فرعون الذى ادعى الربوبية، ومع قارون الذى شغله ماله عن اتباع موسى عليه السلام، وهامان وزير فرعون، وأبى بن خلف الذى شغلته تجارته عن اتباع المصطفى ﷺ، ذلك جزاؤهم جهنم وبئس المصير فالجزاء من جنس العمل ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدثر ٣٨/ ٤٨]

وتارك الصلاة يعيش غير مطمئن ويحشر أعمى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه ١٢٤ - ١٢٦].

الصلاة هي أعظم الذكر:

فيا من تركت الصلاة غير مقدر العواقب، أو تركتها متهاونًا بقدرها، أو تكاسلاً أو غلب عليك شيطان الإنس والجن بادر بالرجوع إلى الله ولا تستعظم ذنوبك فالله أعظم ولا تستكثر الأيام وطول العمر فالموت أقرب إليك من شراك نعلك ولكن البشرى البشرى لمن تاب ورجع وندم واستغفر فسيئاتك كلها محيت بل استبدلت حسنات حتى لو كانت مثل جبل أحد يقول المولى الرحيم: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان ٧٠].

كيف تواظب على الصلاة:

(١) تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم: سأل عثمان بن أبى العاص رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بين صلاتى وبين قراءتي يلبّسها علّي فقال: «ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتفل على يسارك ثلاثًا

قال ففعلت فأذهبه الله» (١) .

(٢) تدعو بعد التحيات وقبل التسليم بهذا الدعاء **«اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** وهذه وصية رسولنا الكريم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه .

(٣) التأني في الصلاة والتدبر والتفكير فيما تقول: قال رسول الله ﷺ : **«ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة»** قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: **«الذى يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها وسجودها»** (٢) .

(٤) الخشوع في الصلاة

ويأتى باستحضار القلب والتفهم للآيات وتعظيم قدر الله واحتقار النفس والرجاء من الله والحياء من الله فإن بلغت ذلك فلا يمكن أن تترك الصلاة لأنك استشعرت حلاوة الأيمان مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة ٤٥] .

وأخيرًا فالعبد في حاجة إلى الصلاة دائمًا :

كان الرسول ﷺ وهو أتقى الناس إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة .

يقول رسول الله ﷺ في الحديث القدسى: **«أتانى ربى عز وجل الليله في أحسن صورة أحسبه يعنى في النوم فقال: يا محمد هل تدرى فيما يختصم الملأ الأعلى ؟ قال: قلت: لا، قال النبى ﷺ فوضع يده بين كتفي حتى وجدتُ بردها بين ثديي أو قال: نحري فعلمت ما في السماوات وما في الأرض ثم قال: يا محمد: هل تدرى فيما يختصم الملأ الأعلى ؟قال: قلت نعم يختصمون في الكفّارات والدرجات. قال: وما الكفّارات والدرجات؟ قال: المكث في المساجد، والمشى على الأقدام إلى الجمعات وإبلاغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقل يا محمد إذا صليت: اللهم إنى أسألك الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مفتون، قال والدرجات: بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام»** (٣) .

---

(١) ذكره مسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) صحيح أخرجه أحمد فى مسنده ج٥.

صلاة الاستخارة:

وكان الصحابة لا يقطعون في أمر من أمور الدنيا إلا بعد أن يؤدوا ركعتين صلاة الاستخارة. عن جابر قال: **«كان رسول الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته - خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به»** (١).

وكان سيدنا إبراهيم ونبينا محمد ﷺ يقولان: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. وكان سيدنا موسى عليه السلام يقول: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

* * *

الوصية الحادية عشر: الرضا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة ٧، ٨].

اعلم أن الوصول إلى الرضا أمر يسير على من يسره الله عليه فليكن جهدك كله للوصول إلى الرضا. أن ترضي ربك وترضى أنت عن ربك، وإليك طريق الوصول إلى الرضا، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يصبح رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالقرآن إمامًا، كان على الله أن يرضيه يوم القيامة»** (٢).

وهذا التابعى الجليل عروة بن الزبير فقد قرر أهل الطب في زمنه قطع رجله

(١) رواه البخارى. (٢) رواه البخارى.

لمرض أصابها، فإن تركوها أضر ذلك بقية جسمه، فقطعوها من ركبته، فلم يقنط من رحمة الله وشاء القدر أن يبتلى على قدر إيمانه. . ففى هذه الليلة سقط ابن له من سطح فمات. فدخلوا عليه فعزوه فيه فقال: اللهم لك الحمد كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت لى ستة وكان لى أربعة أطراف فأخذت واحدًا وأبقيت لى ثلاثة. . فإن كنت أخذت فقد أعطيت. . . ولئن كنت ابتليت فقد عافيت. . . أبعد ذلك نراك تسخط؟! ولكى يسترح قلبك وكنت ممن ضُيق عليه رزقه فاعلم أن ذلك ليس لهوانك على الله، ولكن الله يعطى الرزق لعباده كيف ما يشاء، اختبارًا لهم، فمنهم من يؤدى حقه ومنهم من يدفعه ذلك إلى الطغيان والبغى على خلقه.

قال قتادة: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك.

فاعلم أن الله يريد صلاحك، وهو أعلم بذلك فكما جاء في الحديث «إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه» فعلى الفقير أن يرضى بما قسم الله، بل ويفرح بأن الفقراء أول من يسكنون الجنة بجوار النبى المصطفى ﷺ وليعلم الفقير أن الفقر خير له في دينه ودنياه، فقد يحدث ما يندم عليه لو كان غنيًا، وقد يقع ما يودى بحياته أو يؤثر على دينه وخلقه.

وانظر إلى نوع آخر من الرضا فهذا يرضى بالمصيبة ويعدها نعمة إنه عمر بن الخطاب قال ما أصابتنى من مصيبة إلا وجدت فيها ثلاثة نعم: الأولى: أنها لم تكن في دينى، والثانية: أنها لم تكن أعظم مما كانت، والثالثة: أن الله يجازى عليها الجزاء الكبير. ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٥٧]

فليعرف الرضا الطريق إلى قلبك، وابعد الحزن عنه وقل عندما تستيقظ «رضيت بالله ربًا»، واقرأ هذه القصة أيضًا لتشعر بمدى إنعام الله عليك ومدى تقصيرك في حقه سبحانه ولتعلم أن السعادة ليست في المال والجاه إنما التقى هو السعيد. .

مر أحد الصالحين على رجل مقطوع الذراعين والرجلين مستلقيًا على ظهره، والذباب يحوم عليه وهو يقول: الحمد لله فقال له: تحمد الله على ماذا؟! قال أحمد الله على أن أبقى لى لسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وقلبًا لله عز

وجل شاكرًا

فلتحمد الله على نعمه فكلما شكرته زادك، فشكر النعمة حفظ لها واستزادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٧] ولا تكن ممن قيل فيهم على لسان ابن عمر رضى الله عنهما: يابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ابن آدم: لا بقليل تقنع، ولا بكثير تشبع .... فكن راضيًا بقضاء الله صابرًا على بلائه وإياك والجزع والسخط. جاء في الحديث القدسى: من لم يرض بقضائى، ولم يصبر على بلائى، فليتخذ له ربًا سواى وليستظل بسماء غير سمائى وليسكن أرضًا غير أرضى». وهيهات. هيهات لا مفر من قضاء الله، ولا هروب مما قدر الله. الرضا بالله رضا أى تكون عقيدتك قائمة على أساس أن الله هو الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لم يلد ولم يولد وليس أحد في صفاته وأفعاله. لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه ولا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى، وإذا أراد شيئًا سبحانه فأمره بين الكاف والنون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إذا علمت هذا فلم هذا الحزن يملأ قلبك. لما انشغالك بالدنيا وسعيك خلفها، وما هذا الحرص والخوف على فوات رزقك. أتراك تخاف أن يضل الرزق طريقه إليك ؟ أم أنك تخاف أن ينساك خالقك ؟فاعمل على ألا ينشغل قلبك بغير مولاك ؟ ولا تتبع خطوات هواك ؟ ولا تغفل عن ذكر الله حتى يطمئن قلبك بأن سيدك ومولاك قد ضمن لك الرزق، فلا تحزن على ما فاتك ولا تفرح بما أتاك، فليس المؤمن من إذا آتاه الله النعمة فرح لأنه في رخاء وإذا منعه ربه فهو يسخط ويجزع وينظر إلى من فُضل عليه في الرزق فيزداد حسرة، وهذا ما يريده الشيطان ألا ترضى عن ربك فيكون مصيرك معه إلى النار؟ فاحذر أخى من خطوات الشيطان وأخلص لربك في الدعاء وارض بما آتاك وليكن لك قدوة في سلفنا الصالح.

* * *

الوصية الثانية عشر: القناعة

قال رسول الله ﷺ : **«قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنّعه الله بما آتاه»** [١] .

لما كان الرضا بما قسم الله يبنى أساسًا على القناعة رأيت من الواجب أن أحدثك قليلاً عن القناعة؛ لأن بالقناعة يشفى صدر المرتاب في الأمر وبها يطمئن القلب، وليست القناعة بعيدة عن الإنسان من مال، وبنين ومتاع الحياة، وخير طريق يسلكه المرء في حياته هو القناعة، ويكون ذلك بالتغلب على شهوات النفس والحد من رغائبها ونزواتها.

وجاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أوصني وأوجز فقال ﷺ: **«عليك باليأس مما في أيدي الناس وإياك والطمع، فانه فقر حاضر»**.

وانظر إلى الإمام الشافعي رحمه الله، وهو يحدثنا عن القناعة وقيمتها في حياته فقال:

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به متمسك
فصرت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

حقا لقد صار مَلكا حينما رضى بما قسمه الله له، واعترف بنعمته سبحانه عليه، وحفظ هذه النعمة بالشكر، وترك الطمع فصار أغنى الناس؛ لأن النفس تطمع في كل شيء تراه ولو كان في هذا الشيء هلاكها، والنفس أبدًا لا تشبع فشعارها هل من مزيد، ولقد فطن الشاعر المسلم هذا الأمر وأثر النفس السيىء وأطماعها التى ليس لها حدود فزجرها وقال ينبه نفسه لتفيق من غفلتها.

والنفس تكره أن تكون فقيرةً ... والفقر خير من غنى يطــغيها
وغنى النفوس هو العفاف ... فان أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

ولتعلم أخي المسلم أن عدم القناعة يورث الطمع والحرص و هما من أسباب هلاك المرء ويزجان به في المآزق وشهادة الزور والاحتيال والكذب، ويدفعانه إلى التفريط في أمور دينه وعرضه، ولقد حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من الحرص فقال: **«إياكم والحرص، فإن الحرص دفع أباكم آدم على الأكل من الشجرة، فأُخرج**

---

(١) رواه مسلم.

من الجنة»

فانظر أيها المسلم إلى عاقبة الطمع والحرص، عاقبتهما الحرمان، طمع آدم في الخلد فعوقب بحرمانه من التعليم منحة الله إياه. فاحذر من الشيطان ومداخله عليك واعلم أن الغنى غنى النفس كما أخبر الحبيب بذلك فقال ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

فما أجمل أن يعيش المرء قانعا في الحياة، راضيا بما قسم الله، فلا تتطلع نفسه إلى سلب حقوق الناس، ولا يمد يده إلى ما في أيدي الناس، إن القنوع يشعر بسعادة في فقره، لا يشعر بها صاحب السعة الطامع في يد غيره، القناعة عز وكرامة، والحرص والطمع مذلة ومهانة والطامع جائع لا يشبع ولتضع هذا الحديث أمام ناظريك وكن دائم التفكر فيه لتنل سعادة الدارين. قال رسول الله ﷺ : «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه». [١]

فالعاقل حقا إذا ضاقت عليه الدنيا لم يجمع على نفسه بين ضيقها وفقرها، وبين فقر القلب وحسرته وحزنه، بل كما يسعى لتحصيل الرزق، فليسع لراحة القلب، وسكونه وطمأنينته. رزقنا الله وإياكم الرضا والقناعة وحسن السمع له والطاعة إنه على ما يشاء قدير.

* * *

---

(١) رواه مسلم.

الوصية الثالثة عشر: الكبر بطر الحق

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]

إن القرآن العزيز يصرح تصريحًا بالغًا بالابتعاد عن الزهو والكبر والتزام التواضع والمرونة ولين الجانب، فقد جاء على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان / ١٨]، وفى موضع آخر من الذكر الحكيم يقول: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء ٣٧] ثم يقول المولى في موضع قريب: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء ٣٩]

فمن الحكمة أن لا يختال الإنسان ولا يتكبر، ولا يتطاول مزهوًا بما ميزه الله به على الآخرين، لأن ما يزهو به إن كان مالاً أوجاهًا أوسلطانًا لن يدوم، وإن كان علما فهو فتنة أُبتلى بها ولا بد أن يجرى عليه العقاب لكى ينال جزاء ما وقع به من الاختيال والتطاول. وما أصعب أن يكون العقاب هو الحرمان من الجنة:

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة ؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق وغمط الناس» (١).

إن الله جميل يحب الجمال: أى ليس ذلك من الكبر، وبطر الحق: دفعه ورده على قائله أى إنكاره وعدم قبوله وغمط الناس: احتقارهم والتقليل من شأنهم.

ويكفى أن نعلم أن الكبر هو أول ذنب ارتكب في السماء وكان سببا لطرد إبليس من الجنة حين امتنع عن تنفيذ أمر الله والسجود لآدم: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر٣٣] وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر.

﴿تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف ١٢]

وقد رضى الله تعالى أن يوصف بعض بنى آدم بصفات من صفاته العليا ولكن سبحانه وتعالى لم يرض أن يوصف غيره بالمتكبر فقال جل وعلا في حديث قدسي **«العظمة ردائى، والكبرياء إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالي»**.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا: **«أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك إلا الله»** وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون»**.

أمثلة لعاقبة المتكبرين في القران الكريم:

- **فرعون** تكبر بسلطانه فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات ٢٤/ ٢٥] وكان من المغرقين.

- **قارون** تكبر بماله وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨]، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص ٨١/ ٨٢].

- **النمرود** الذى أراد أن ينازع الجليل في إزاره فقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وبعث الله إليه ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى عليه ثم دعاه الثالثة فأبى عليه وقال: اجمع جموعك، وأجمع جموعى. فجمع النمرود جيشه وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض فأكلت لحومهم ودمائهم وتركتهم عظاما بالية ودخلت واحدة منها في منخر الملك فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذبه الله بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله عز وجل بها [١].

* * *

(١) قصص الأنبياء ابن كثير.

التواضع :

خلق كسائر الأخلاق له طرفان، وواسطة، فطرفه الذى يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا، وطرفه الذى يميل إلى النقصان يسمى تخسسا ومزلة والوسط يسمى تواضعًا، والمحمود أن يتواضع المرء في غير مذلة ومن غير تخاسس، فإن كلا طرفى الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها ولقد حث القرآن الكريم على التحلى بهذه الصفة فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء٢١٥] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة٥٤]

وذُكر عن عمران بن موسى القصير قال: قال موسى عليه السلام «يارب أين أبغيك؟ قال: ابغنى عند المنكسرة قلوبهم، فإنى أدنو منهم كل يوم باعًا، ولولا ذلك انهدموا» (١).

وجاءت السنة النبوية الشريفة حاملة هذه الدعوة الطيبة، فعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد». وقال ﷺ: «من تواضع لله رفعه». أخرجه أبو نعيم وصححه الألبانى. وقال ﷺ: «اعلم أنك لا تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة» (٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

فعلينا أن نتحلى بهذا الخلق الطيب ممتثلين لأمر الله تعالى في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم٣٢]

أمثلة للمتواضعين: سليمان عليه السلام الذى عُلم منطق الطير وأوتى من كل شىء قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ

---

(١) [الزهد لأحمد بن حنبل رقم ٣٨٩].

(٢) رواه أحمد فى مسنده.

نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل١٧/ ١٩]ولما جاءه عرش بلقيس ووجده بين يده - وكان في الطرف الجنوبى من الجزيرة العربية وهو جالس على عرشه في بيت المقدس في شمال الجزيرة العربية - لم يستشعر الكبرياء في قلبه ولم يتسلل الشيطان إليه ويصيبه بالغرور، ولم تسول له نفسه السوء. . . . ولكنه على الفور تذكر قدرة القدير وعلم أن ذلك أنما هو اختبار منه سبحانه . وهو أعلم به . القائل : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل ٤٠]

المصطفى ﷺ في غزوة الخندق قام كل صحابى بعمل وقال ﷺ «وأنا على جمع الحطب» .

.عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس وفى نشوة الانتصار ، وفرحة الفتح وفى طريقه لاستلام مفاتيح القدس ، عرضت عليه مخاضة ، فنزل عن بعيره ، وقلع موقيه فأمسكهما بيده ، فخاض عمر الماء ، ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيده : قد صنعت عظيما ، عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك في صدره وقال : أوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيده ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله [1] .

* * *

(١) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى.

الوصية الرابعة عشر: الزهد بعضه فرض

قال رسول الله ﷺ : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» .

الزهد مقام شريف من مقامات السالكين، وهو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه كانصراف رغبته عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، أو عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى. فالزهد يستدعى مرغوبًا عنه ومرغوبًا فيه، ولا بد أن يكون المرغوب عنه مطلوبًا (محتاجًا إليه) في نفسه فمن رغب عما ليس مطلوبًا في نفسه لا يسمى زاهدًا، وتارك الحجر والتراب لا يسمى زاهدا، وإنما يسمى زاهدًا من ترك الدراهم والدنانير قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [ال عمران ١٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت ٦٤]

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»** وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك).

فعلى الإنسان ألا يركن إلى الدنيا ولا يتخذها وطنا، ولا يحدث نفسه بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا يتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا يشتغل فيها إلا بما يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله.

ولكن هل لنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً ما الذى يحمل الإنسان على أن يكون زاهدًا؟.

قال إبراهيم بن أدهم. الزهد ثلاثة أقسام:

زهد فرض وهو الزهد في الحرام.

زهد فضل وهو الزهد في الحلال.

زهد السلامة فهو الزهد في الشبهات.

وأضاف ابن القيم: الزهد في الناس، الزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه

في الله . والزهد الجامع لذلك كله هو الزهد فيما سوى الله وفى كل ما يشغلك عنه .

والسبيل إلى الزهد يتلخص فى :

استحضار الآخرة ووقوف العبد بين يدى خالقه في يوم الحساب والجزاء فحينئذ يغلب شيطانه وهواه، ويصرف نفسه عن لذائذ الدنيا .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»** (١) .

والفلاحُ اسم جامع لحصول كل مطلوب محبوب والسلامة من كل خوف مرهوب، فإن الإسلام هو دين الله الذى لا يقبل سواه، ثم تحصيل الرزق الذى يكفيه ويكف وجهه عن سؤال الخلق ثم تتم عليه النعمة بأن قنّعه الله بما آتاه، أي حصل له الرضى بما أوتى من الرزق والكفاف، ولم تطمح نفسه لما وراء ذلك: فقد حصل له حسن الدنيا والآخرة فإن المسلم قد يبتلى بفقر ينسى، أو غنًا يطغى وكلاهما ضرر ونقص كبير وإما أن يحصل له الرزق الكافى موسعا كان أو مقدرًا ولكنه لا يقنع برزق الله ولا يطمئن قلبه بما آتاه الله فهذا فقير القلب والنفس . فإنه ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى القلب . ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه١٣١]

قال رسول الله ﷺ: **«إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا»** (٢)

وكان عمر بن الخطاب يقول: والله ما نعبأ بلذات الدنيا أن نأمر بصغار المعزى أن تصمت لنا، ونأمر بلباب البر فيخبز لنا، وبالزبيب فينبذ لنا في الأسعان، حتى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقى طيباتنا لأنا سمعنا الله يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] (٣) .

ولكن فما هى علامات الزهد ؟

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الزكاة.
(٢) رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف .
(٣) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى.

للزهد علامات منها:

العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود. قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد٢٣].

بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك: وهو أن يحزن بوجود المال، ويفرح بفقده.

العلامة الثانية: أن يستوى عنده ذامه ومادحه، فالأول علامة الزهد في المال. والثاني علامة الزهد في الجاه.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة له سبحانه.

* * *

الوصية الخامسة عشر: فضل قراءة القرآن

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر ٢٩/ ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت ٤١/ ٤٢]

فالقرآن هو حبل الله المتين ونوره المبين - الهادى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم والعروة الوثقى، والمعتصم الأوفى، والمحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير. من آمن به فقد وفق، ومن قال به فقد صدق، ومن تمسك به هدى، ومن عمل به فقد فاز، فسبحان الذى تعهد بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر٩] وإن من أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة.

قراءة القرآن وتلاوته: دعوة متكررة دعت إليها آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم، فلقد ورد فعل القراءة في القرآن الكريم بصيغ الأمر، أو ما يفيد الأمر والتقرير: من طلب فعل، أو إقامة حجة، وقد تجلى جانب الرعاية الإلهية في

متابعة قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام - وقراءة أمته الدعوة وترشيدها .

قال تعالى : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء ١٠٦]

وقال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل ٢٠] .

وقد جاءت هذه الدعوة أيضًا في السنة النبوية الشريفة ، فقد أمر النبى ﷺ بقراءة القرآن لما في ذلك من النفع العظيم حيث قال ﷺ : **«اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»** (١) .

أجر تلاوة القرآن :

وكما أن لكل عمل أجرا فإن لقراءة القرآن وتلاوته أيضًا أجرا . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر ٢٩/ ٣٠]

وعن عائشة رضى الله عنها : قالت : **«قال رسول الله ﷺ الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»** (٢) .

ولم يقتصر الأمر على تباين الأجر بين القراء تبعًا لتباين المهارة، بل إن وصف القراء يتباين تبعًا لتباين درجات الأيمان والمواظبة على القراءة فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر»** أخرجه البخارى ومسلم .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

وعن على رضى الله عنه قال: «الذي يقرأ القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة و من يقرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات» (١).

ويحث الرسول على تعلم القرآن وتعليمه. عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٢).

القرآن الكريم يرفع منزلة المسلم: عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» (٣).

ومنزلة المؤمن في الآخرة عند آخر آية كان يقرؤها عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (٤).

القرآن الكريم شفاءٌ للمؤمنين: يقول تعالى في كتابه عن القرآن إنه ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء ٨٢] أى يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفى من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به صدقه واتبعه فانه يكون شفاء ورحمة.

الله يستمع إلى الصوت الحسن في تلاوة القرآن: فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» (٥) ومعنى «أذن الله» أى استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

شروط الانتفاع بالقرآن:

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك وأحضر حضور من يخاطبه ربه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله قال

(١) كتاب نزهة الناظرين للشيخ تقى الدين.
(٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخارى.
(٤) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح.
(٥) متفق عليه.

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق ٣٧] وقوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ والمراد به القلب الحى الذى يعقل عن الله كمال قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس ٧٠: ٦٩] أى حى القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أى وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له. وهذا شرطٌ للتأثر بالكلام، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أى شاهد القلب حاضر غير غائب [(١)].

ختم القرآن: من آداب ختم القرآن يستحب أن يكون في صلاة، ويستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوما نهي الشرع عن صيامه، ويستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ومن لا يحسن القراءة وعن مُجاهد بإسناد صحيح قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون: تنزل الرحمة، فعن قتادة التابعي الجليل الإمام صاحب أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أنس بن مالك رضى الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، والدعاءُ يُستجاب عند ختم القرآن، وفى مسند الدارمى عن حُميد الأعرج رحمه الله قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف مَلَك. وإذا فرغ من ختمه شرع في أخرى متصلا فقد استحبه السلف واحتجوا فيه بحديث: عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خَيرُ الأعمال الحلُّ والرّحلَةُ». قيل: وما هما قال: «افتتاح القرآن وختمه» [(٢)].

ويحذرنا رسول الله ﷺ من هجر القرآن وعدم تلاوته ووعيه في القلب فقد روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الرجل الذى ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب**».

إن كنت تزعم ودادى   فلم جفوت كتابى
أما تأملت ما فيه   من لطيف عتابى

فيا ليتنا نحيى سنةً من سنن الرسول ونقتدى بالسلف الصالح وأن نجعل من

(١) الفوائد لابن القيم.
(٢) كتاب الأذكار للإمام النووي باب تلاوة القرآن.

أوقاتنا في أسرنا ومع أولادنا وقتًا لتلاوة القرآن وتدبره وختمه ثم الدعاء فيكون ذلك اليوم عيدًا في البيت وواضح أن هذا هو المعنى الحقيقى للختمة، وليست الختمة هى الإتيان بمقرئ يقرأ سورة أو أكثر ثم ينصرف وقد انشغل معظم الحاضرين عن التلاوة.

صفات يجب أن يتحلى بها حامل القرآن:

قال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناسُ نائمون، وبنهاره إذ الناس مفرطون، وحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناسُ يضحكون، وبصمته إذ الناسُ يخوضون. وقال الفضيل رحمه الله: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو، ولا ينبغي أن يكون لأحد حاجة إلى الخلفاء، أو إلى من دونهم، وينبغى أن تكون حوائج الناس إليه).

من آداب تلاوة القرآن: ينبغى على من أراد القراءة أن ينظف فَمَهُ بالسواك أو غيره، وأن يكون على طهارة، وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، ويُستحب البكاء أو التباكى لمن لا يقدر على البكاء.

قال السيد الجليل صاحب الكرامات والمواهب واللطائف إبراهيم الخواص رضى الله عنه: دواء القلوب خمسةُ أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

أهل القرآن: أهل القرآن أئمة بهم اقتدى أهل السلوك إلى رضا الجبار، وبهم تخلص من نجا من النار، وحامل القرآن -حامل- راية الإسلام، وفى كل خصلة من خصاله لأهلها إمام، لا يقنع بأداء الفرض وترك الحرام، قد درجت النبوة بين كتفيه، فهو نبي غير أنه لا يوحى إليه [(١)].

ما بين من يقرأ الكتاب وبين من   يوحى إليه سوى النبوة وحدها
للأنبياء مراتب خصوا بها   والقارئون مراتب من بعدها
طوبى لمن يرعى أمانة ربه   بالبر والتقوى ويحفظ حدها

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل أهلين من**

(١) تذكرة فى الوعظ لابن الجوزي.

الناس، فقيل من أهل الله منهم؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». أفلا تحب أن تكون من أهل الله وخاصته؟

* * *

الوصية السادسة عشر: حسن معاشرة الأزواج.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

لقد أضفى الإسلام احتراما وقدسية على العلاقات الأسرية - والعلاقة الزوجية خاصة - احتراما كما لم يكن في شريعة أو قانون من قبله أو بعده، فقد كانت الزوجة قبل الإسلام في بعض الشرائع بمثابة العبد أو الأمة فلم يكن لها أدنى اعتبار وليس لها أية حقوق، ثم رأينا الحضارة الغربية تفرط تفريطا مشينا فأعطت المرأة حقوقًا أكثر من اللازم وتركت لها الحبل على الغارب حتى أصبحت هى سيد المنزل تتركه وقت ما تريد وتدعو إليه من تريد، حتى صارت العلاقة بين الزوج وزوجته مجردة من الألفة والمودة التي هى أساس الأسرة فانهارت كثير من الأسر وتحللت كثير من المجتمعات.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى الأزواج بحسن معاشرة زوجاتهم في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ١٩] وقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا» ولم يأت هذا التوجيه النبوى من فراغ بل جاء في موضعه فالله أعلم بضعفهن وهو أعلم بما تتحمله المرأة من عناء ومشقة في الحمل والوضع، وتربية الأولاد، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان١٥] فيوصى الله والرسول ﷺ الرجال بالصبر على النساء والترفق بهن ونصحها بالكلمة الطيبة وجعل التأديب بالضرب من آخر المراحل وفى نطاق ضيق قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (١).

---

(١) رواه مسلم.

جاء رجل ذات يوم إلى سيدنا عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يشتكى زوجته فوجد زوجة عمر أشبه بزوجته فقال له سيدنا عمر : يا أخي تحملتني في تربية أولادي وفى أعداد طعامي وفى تنظيف بيتى وملابسي ألا أتحملها في شيء؟ وتأمل معي رحمة سيدنا عمر بزوجته ونصيحته للرجل، ورسولنا ﷺ يقول : «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» (١) .

وكان رسول الله ﷺ دائما في عمل أهل بيته يخصف نعله ويصلح ثوبه .

أمر نبوى بحسن عشرة النساء :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضى منها آخر**» (٢) .

لا يفرك أى لا يكره أو يبغض وهذا الإرشاد من النبى ﷺ للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعى إلى حسن العشرة بالمعروف فنهى المؤمن عن سوء عشرته لزوجته وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة وأن يجعلها في مقابلة ما كره من أخلاقها فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة والمحاسن التى يحبها ونظر إلى السبب الذى دعاه إلى التضجر منها وسوء عشرتها رآه قليلاً وأن ما فيها مما يحب أكثر فإن كان منصفًا غض عن مساوئها وأما من غض عن المحاسن ولحظ المساوئ ولو كانت قليلة و هذا من عدم الأنصاف ولا يكاد يصفو مع زوجته .

والناس في هذا ثلاثة أقسام :

١- **أعلاهم قدرًا :** من لحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن وغض عن المساوئ بالكلية وتناساها .

٢- **وأقلهم توفيقًا وإيمانًا وأخلاقًا :** من عكس القضية فأهدر المحاسن وجعل المساوئ نصب عينيه وربما عددها وبسطها وفسرها بظنون وتأويلات يجعل القليل كثير .

٣- **القسم الثالث :** من لحظ الأمرين ووازن بينهما وعامل الزوجة بمقتضى

(١) أخرجه الأمام أحمد فى مسنده أبى هريرة والترمذى وأبو داود.
(٢) أخرجه مسلم كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

كل واحد منهما . وهذا منصف ولكنه قد حرم الكمال [١] .

تذكرة إلى الزوجات : الرسول يحث المرأة على طاعة زوجها وحسن معاشرته .

قال رسول الله ﷺ : **«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** [٢] ، كما أنه يمتدحها فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»** [٣] .

صفات الزوجه الصالحة :

١- إذا نظر إليها سرته .

٢- إذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله .

٣- وإذا أمرها أطاعته .

٤- ولا تفش سره خارج البيت .

٥- أن تحسن معاملة أهل زوجها .

٦- أن تخدم زوجها وأولادها دون منه .

فيا أيتها الزوجة لا تضيعى ثوابك بالثرثرة وإفشاء أسرار بيتك وإيذاء جيرانك ، حلي مشاكلك مع زوجك بنفسك إلجأي إلى الله بالدعاء والصلاة هو أرحم الراحمين . الأعمال التى تقومى بها كفيلة أن تدخلك الجنة إن صلحت النية ، وكانت الأعمال خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة ١٢]

قال رسول الله ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»** [٤] .

---

(١) جوامع الأخبار لعبد الرحمن السعدى باختصار بسيط .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الرضاع. (٣) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه.

(٤) رواه البخارى ومسلم .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها أطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»** (١).

وفى مسألة عمل المرأة في بيت زوجها:

ورد أن ابن حبيب قال: حكم النبى ﷺ بين على بن أبى طالب وبين زوجته فاطمة رضى الله عنهما حين اشتكيا إليه من الخدمة فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة - خدمة البيت - من عجين، وطبخ، وفرش، وكنس البيت، واستسقاء الماء، وعمل البيت كله، وحكم على علي رضي الله عنه بالخدمة الظاهرة - من نفقة وكسوة ومسكن، ففى الصحيحين أن فاطمة أتت النبى ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحا وتسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته. قال على رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فتهيأنا نقوم فقال: **«مكانكما»** فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال: **«ألا أدلكما على ما خير لكما مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خيرلكما من الخادم»** (٢).

وصح عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها قالت كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكان له فرس وكنت أسوسه وكنت أحش له وأقوم عليه، وصح عنها أنها كانت تعلف فرسه وتسقى الماء وتخرز الدلو وتعجن وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثى فرسخ.

فللعلماء في مسألة خدمة المرأة في بيت زوجها رأيان:

الأول: منعت طائفة وجوب خدمته عليها في شيء وممن ذهب إلى ذلك أبو حنيفة ومالك والشافعى رحمهم الله وأهل الظاهر.

قالوا: لأن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع، قالوا والأحاديث الواردة إنما تدل على التطوع ومكارم الأخلاق.

والرأى الثانى: أوجب طائفة من العلماء خدمة الزوجة لزوجها في مصالح

---

(١) أخرجه أحمد والطبرانى.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

البيت واستدلوا على ذلك بأن فاطمة رضى الله عنها كانت تشتكى ما تلقى من الخدمة فلم يقل الرسول ﷺ لعلى رضى الله عنه لا خدمة عليها وإنما هى عليك وهو ﷺ لا يحابى أحدًا .

ولما رأى أسماء رضى الله عنها والعلف على رأسها والزبير معه لم يقل له لا خدمة عليها وأن هذا ظلم لها بل أقره على استخدامها وأتى سائر أصحابه على استخدام أزواجهن على علمه بأن منهن الكارهة والراضية هذا أمر لا ريب فيه .

ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة وفقيرة وغنية فهذه فاطمة أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها وهذه أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما تحمل على رأسها العلف [١] .

ولذلك قال الرسول ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم» العانى: هو الأسير - .

وقال بعض السلف: النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته .

خديجة مثال للزوجة الصالحة .

إن العناية الإلهية وقدر الله ورجاحة عقل خديجة الذى جعلها تثور على عادات الجاهلية فعندما اكتشفت أمانة محمد ﷺ قبل بعثته لم تتردد في خطبته لنفسها وهى التى يتقدم سادات وأشراف قريش لخطبتها فترفض فضربت بذلك المثل الرائع للإقدام والنبل ورجاحة العقل .

وليس ذلك فقط بل إنها تركت الحرية الكاملة لمحمد ﷺ في إدارة أموالها فهو مواسى المحتاجين، ويمد يد العون للمنكوبين ويقيل عثرات من أخنى عليهم الدهر وكان المال يربو في يده كلما أنفق منه في وجوه الخير والبر . والله سبحانه وتعالى هداها إلى أن تنشر في بيتها جوًا من الهدوء والحنان والمحبة فوجد فيه النبى ﷺ وآل بيته راحة النفس وهناء العيش والاستقرار الذى ينشده كل زوج مكافح فلم يجد منها يومًا ما ينغص عليه عيشة أو يعوق تأدية رسالته . . . بل وجد فيه كل ما يعين على تبليغها وما يشد من أزره ويقوى من عزيمته على الدعوة إليها، كما وجد بجواره من يعاونه على تذليل العقبات التى

(١) زاد المعاد الجزء الرابع.

تعترض سبيل نشرها ولذلك فقد أعلى الله منزلتها فأمر رسوله ﷺ أن يبشرها ببيت في الجنة من لؤلؤ يسوده الهدوء ويخلو من الجدال والخصام فقد ورد عن النبى ﷺ قوله : **«أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب»** البخارى، وكان الرسول ﷺ دائم الثناء عليها فيقول عنها : **«لا والله ما أبدلنى خيرًا منها . آمنت بى إذ كفر بي الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستني في مالها إذ حرمنى الناس ورزقت منها الولد إذ حرمنى أولاد النساء»** . فتملكت قلبه ووجدانه في حياتها وكان وفيًا لها بعد مماتها [١] .

وانظر معى لما انتقلت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها إلى جوار ربها كان رسول الله ﷺ في الخمسين من عمره وقد كان عند زواجه منها في الخامسة والعشرين أى دامت عشرته معها خمسًا وعشرين عامًا وهى الزوجة الوحيدة طوال تلك الفترة ولم يتزوج بأخرى برغم أنها كانت قد بلغت الخامسة والستين عاما أى أصبحت عجوزًا ومع ذلك لم يفكر الرسول ﷺ في زوجة ثانية تدخل عليه السعادة ولم يتزوج بأخرى إلا بعد وفاتها .

لقد كان الرسول في أقواله وأفعاله مأمورا من قبل الله تعالى فهو لا ينطق عن الهوى، ولايقدم على عمل إلا والله عليه راضٍ .

وانظر معى في أسباب تعدد زوجاته ﷺ والتى حدثت بعد سن الخمسين والحكمة من ذلك : -

١- أراد الله أن يعلم نساء المؤمنين أحكام وأمور دينهن الخاصة بالمرأة كالحيض والنفاس لأن الرسول ﷺ كان يستحيي أن يصرح لهن ويكنى ببعض الكلام .

٢- لتقوية دعائم الإسلام .

٣- لإبطال عادة التبنى .

٤-رحمة ببعضهن .

٥-أمر من الله تعالى لحكمة قد لا نعلمها .

* * *

(١) كتاب خديجة أم المؤمنين نظرات فى إشراق فجر الإسلام عبد المنعم محمد عمر.

بعض زوجات الرسول ﷺ وسبب زواجه من كل واحدة منهن :

١- السيدة خديجة رضى الله عنها :

هى أول زوجات الرسول وكانت تبلغ من العمر أربعين عامًا في حين أن الرسول محمد ﷺ كان يبلغ من العمر خمسًا وعشرين عامًا، وكان حينذاك يعمل عندها في التجارة وهى التى خطبته لنفسها لأمانته .

٢- أم سلمة : أرملة قائده الذى استشهد في سبيل الله .

٣- زينب بنت جحش : تزوجها بأمر الله لتحريم عادة كانت شائعة في الجاهلية وهى التبنى؛ لأن رسولنا الكريم قد تبنى زيد بن حارثه قبل تحريم تلك العادة وقد تزوج زيد من زينب بنت جحش ولكن كانت لا تطيقه وزيد كان لا يطيق الحياة مع امرأة قلبها منصرف عنه، فجاء إلى النبى يطلب الإذن بطلاقها وأوحى الله إلى رسوله أن يدع زيد يطلقها ويتزوجها هو وأحس النبى بالحرج الهائل ماذا يقول الناس تزوج امرأة ابنه؟ ولكن زيد ليس ابنه أراد الله أن يثبت أنه ليس هناك تبنى وليتحمل الرسول ما يقوله الناس .

٤- أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب : سيد قريش وقائدها في حرب المسلمين : والتى مات زوجها وأصبحت أرملة مما جعل الرسول يتزوجها حماية لها .

٥- صفيه بنت حيي : كان أبوها ملك اليهود .

٦- جويرية بنت الحارث :

كان أبوها زعيم بنى المصطلق تزوج الرسول من صفية وجويرية جبرًا لخاطر المنهزمين ودعوة إلى حسن معاملتهم وأراد الرسول أن يشير إلى الأخوة الإنسانية وأن الإسلام رحمة وتسامح .

ولم يكن من بين زوجاته جميعهن بكرًا سوى عائشة رضى الله عنها وأما الباقيات فقد كن ثيبات سبق لهن الزواج من قبل .

* * *

تذكرة من الله ورسوله لبناتنا ونسائنا

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور ٣٠ / ٣١]. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ المقصود الوجه والكفين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي رداء يغطي الرأس والعنق والصدر قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب ٣٢] وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»** (١).

* * *

الوصية السابعة عشر: الإنفاق والبخل

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما من يوم يصبح العباد إلا وفيه ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول آخر اللهم أعط ممسكًا تلفا»** (٢).

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي إنفاقا في طاعته ومرضاته وأولاها إنفاقًا في الجهاد في سبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ وهذا المثل أبلغ في النفوس ففيه الإشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة وقد وردت الأحاديث بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف. ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذه

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي أورد فيه حديثًا من رواية بريدة.

المضاعفة بحسب حال المنفق و إخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها وموقعها ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وتعظيم أجرها بغير حساب ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي واسع الفضل والعطاء لا ينقصه نائل ولا يحيفه سائل ولا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع من المبالغة لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته ومع هذا فهو عليم بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحق فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته [١].

عن أنس رضى الله عنه قال: كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءها الطيب قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله فقال يا رسول الله: إن الله تعالى أنزل عليك ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أو إن أحب مالى إلى بيرحاء وأنها صدقة لله تعالى أرجوا برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله: **«بخ ! ذلك مال رابح . ذلك مال رابح . وقد سمعت ما قلت وإني أري أن تجعلها في الأقربين»** فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه [٢].

ويرشدنا الله إلى الإنفاق من المال الطيب الحلال وليس من المال العطب أو الذى فيه شبهة يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة ٢٦٧] قال ابن عباس أمرهم ربهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه فإن الله طيب لايقبل إلا طيبا ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أى تقصدوا الخبيث لتنفقوا منه ولو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون، فلا يجوز للإنسان أن يتصدق بما تلف من الطعام وكان أولى أن

(١) تفسير ابن كثيرج١ وتفسير تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان.
(٢) متفق عليه.

يتصدق به قبل أن يتلف، وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت يا رسول الله نطعمه للمساكين ؟قال: «لا تطعموهم مما لا تأكلون» (١).

وكان عبد الرحمن بن عوف – أو سعد بن وقاص يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة: رب قنى شح نفسي، رب قنى شح نفسى فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال: « إذا وقيت شح نفسى فقد أفلحت» (٢).

أوجه الإنفاق كما وضحها الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢١٥].

ولعلك تدرك كرم الله في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام ١٦٠].

أما عن البخل اقرأ معى عقاب الله للبخيل قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران ١٨٠] أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة له في دينه وربما كان في دنياه ثم أخبر الله بمآل أمر ماله يوم القيامة، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ من مال أو علم أو جاه وغير ذلك ممن منحهم الله روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثل له شجاعًا أقرعا له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بهلزمتيه – يعنى شدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ »** [آل عمران ١٨٠]. وقال العوفى عن بن عباس نزلت هذه الآية في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبنوها، واقرأ معى جزاء من يكنز الذهب والفضة ويحرمون النفقة على من يستحقون قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب.

وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة ٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ أى يمسكونهما عن الإنفاق في سبيل الله والطرق الموصلة إليه وهذا هو الكنز المحرم، أى إمساكها عن النفقة الواجبة أو الإنفاق على الزوجة أو الأقارب أولئك ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهذا العذاب منه ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ على هذه الأموال ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويقال لهم توبيخًا ولومًا: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وهذا العذاب واجب لهم لأحد أمرين: إما أنهم ينفقون هذا المال في الباطل الذى لا يجدى نفعًا بل يجلب الضرر كإنفاقها في المعاصى والشهوات والصد عن سبيل الله. والأمر الآخر هو الإمساك عن إخراجها في الواجبات وفى مصارفها الشرعية والضرورية.

فيا جامع الدنيا بغير بلاغة	ستتركها فانظر لمن أنت جامعُ
لو أن ذوى الأبصار يوعون كل ما	يرون لما جفت لعينٍ مدامعُ
وكانت الدنيا منتهاه وهمه	سباه المنى واستعبدته المطامعُ

والسخى قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله، وقريب من الجنة وبعيد عن النار، والبخيل بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده. وبخله يبغضه إلى أولاده. والكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطى البخيل ويوسع عليه في ذاته وخلقة ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من جنس عمله.

ويظهر عيب المرء في الناس بخله	ويستره عنهم جميعًا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فإننى	أرى كل عيب بالسخاء غطاؤه
وقارن إذا قارنت حرًا فإنما	يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
وأقلل إذا ما استطعت قولًا فإنه	إذا قل قول المرء قل خطؤه
إذا قل مال المرء قل صديقه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدرى وإن كان حازمًا	أقدامه خير له أم ما وراءه
إذا المرء لم يختر صديقًا لنفسه	فناد به الناس هذا جزاؤه

وحد السخاء: بذل ما يُحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه

بقدر الطاقة، وليس - كما قال بعض من نقص علمه - حد الجود بذل الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهى عنهما.

وإذا كان السخاء محمودًا فمن وقف على حده سمى كريمًا وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلاً، وكان للذم مستوجبًا، وقد روى في أثر: إن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره بخيل.

والسخاء نوعان: فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك، والثانى: سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئًا؛ لأنه سخاء عما في أيديهم. وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعًا، وعن مال غيرك متورعًا.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: «**أتدرى لما أتخذتك خليلاً؟ قال: لا. قال لأنى رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ**»[1].

* * *

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب.

الوصية الثامنة عشر: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾

قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف٤٦]

قد يظن الكثيرون أن تخليد اسمهم في الدنيا بإنجاب الولد أو البنت لكن تخليد الاسم يكون بالتقوى والعمل الصالح والسيرة الحميدة واقرأ معى الآية السابقة ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي الأعمال الصالحة من- كلمة طيبة ومن تحميد وتكبير وتسبيح وصلاة وزكاة وعلم وعدل وحق- هى الباقية.

ورسول الله ﷺ لم يكن له حظ في بقاء أولاده الذكور ولكن اسمه باق إلى أن تقوم الساعة كأنه حى معنا نعمل بسنته، ونقتدى بأخلاقه، وكذلك الصحابة من بعده ذكرهم خالد بيننا بأعمالهم وليس بأولادهم قال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيء**» (١).

و عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتى ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك**». قال القرطبى: أي: لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف٤٦].

الإخلاص واستحضار النية في جميع الأعمال والأقوال: فيجب أن تكون الأعمال كلها لله فإن الله يجازى بالنية كما يكافىء بالأعمال. فعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال كنا مع النبى ﷺ في غزاة فقال: «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم المرض وفى رواية أو شاركوكم الأجر**» (٢).

---

(١) صحيح مسلم. (٢) رواه مسلم.

وخير للإنسان أن يتصدق بصدقات يبقى ثوابها بعد موته (صدقة جارية) يظل ثوابها مكتوبا له في صحيفته إلى أن يشاء الله عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» (١) .

فيجب على الإنسان أن ينفق ماله أو شطر ماله في تربية الولد الصالح الذى يستغفر لوالديه فيصلهما دعاؤه .

ومن الصدقات الجارية : بناء المساجد وإعمارها - غرس الأشجار - بناء دار للأيتام - توريث مصحف - أو كتب العلم تعليم العلم - حفر بئر في الصحراء يُسقى بها الزرع والحيوان ويشرب منها الإنسان فهى أولى من عمل سبيل في الأماكن التى بها الماء متوفرًا .

المبادرة بالأعمال الصالحة : خير من تأجيلها فلا يدرى أحد إذا أصبح هل يأتى عليه المساء وإذا أمسى هل ينتظره الصباح ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «بادروا بالأعمال سبعًا ، هل تنتظرون إلا فقرا منسيًا ، أو غنًا مطغيًا ، أو مرضًا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» ويحذرنا رسول الله ﷺ من زخرفة الدنيا وبهجتها فعن أبى سعيد الخضرى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «إن الدنيا حلوة خضراء وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء» (٢) .

* * *

(١) أخرجه الترمذي (حديث حسن).
(٢) أخرجه مسلم.

الوصية التاسعة عشر: غسل الميت وتكفينه أمانة

قال رسول الله ﷺ : «من غسل ميتًا فأدى فيه الأمانة ولم يفشى عليه ما يكون منه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (١) .

وعن أبى رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة» (٢) .

ويعلمنا رسول الله ﷺ واجبات المسلم إذا حضر أحدا في الاحتضار وهى كالآتي :

١- **تلقين المحتضر لا اله إلا الله** : عن أبى سعيد الخضرى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله» (٣) .

ويستحب أن يكون ذلك بلطف وبطريقة غير مباشرة حتى لا يعاند .

٢- **تغميض الميت والدعاء له بالخير** : عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « . . . لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير لأن الملائكة يؤمنون على ما تقولون - ثم قال : «اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبيه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه» (٤) . وفى حديث آخر عن أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : «قولى اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عقبى حسنة» . فقلت فأعقبنى الله من هو خير لى منه : محمدًا ﷺ . أو يقول : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة ١٥٦] .

٣- **ربط الفك الأسفل بالرأس** بربط مع الرأس إذا كان الفم مفتوحا .

٤- **تغسيل الميت** : وتغسل أعضاؤه ثلاثا بالماء مثل الاغتسال للجنابة .

٥- **تكفين الميت** : قال رسول الله ﷺ : «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه» (٥) .

٦- **ويستحب أن يكون الكفن أبيضًا** يكون من ثلاثة أثواب ويستحب أن يعطر

---

(١) رواه أحمد والطبراني من رواية جابر الجعفرى.
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم .
(٥) أخرجه مسلم.

الميت والمكان حتى لا تنفر الملائكة .

وهذه الأمور وإن كانت فرض كفاية إلا أنه يجب أن يعلمها الذين يتعاملون دوما مع المرضى وهم في حالة الاحتضار مثل الأطباء والممرضين في المستشفيات العامة والخاصة فيجب عليهم أن يلقنوا المحتضر الشهادة وأن يقوموا بباقى الأمور حتى يحضر أهله .

٧- **الصلاة على الميت** : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان»** قيل وما القيراط وما القيراطان ؟قال : **«مثل الجبلين العظيمين»** [١] .

٨- **ويستحب أن تكون الصفوف على الجنازة ثلاثة أو أكثر** عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : **«ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»** [٢] . وقال رسول الله ﷺ : **«من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب»** أي وجبت له الجنة بالوعد الصادق على لسانه ﷺ .

صفة صلاة الجنازة :

يكبر أربع تكبيرات : يتعوذ بعد الأولى ويقرأ الفاتحة ثم يكبر الثانية ثم يصلى على النبى ﷺ بالصيغة الإبراهيمية فيقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

ثم يكبر الثالثة ويدعوا للميت (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلا خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار) .

ثم يكبر الرابعة ويدعو لنفسه وللمسلمين ، ومن أحسنه : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»** [٣] .

(١) متفق عليه . (٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أبو داود.

الإسراع بالجنازة: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وأن تك سوى ذلك، فشرّ تضعونه عن رقابكم»** [١].

٧-**الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة.** عن أبى عمرو وقيل أبو عبد الله وقيل أبو ليلى عثمان بن عفان رضي الله عنهم كان رسول الله ﷺ: **«إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»** [٢].

ويستحب أن يمكث المشيعون عند قبر من دفن قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ليستأنس بهم كما وصى بذلك عمرو بن العاص حيث قال: وأعلم ماذا أراجع به رسل ربى.

الثناء على الميت: عن أنس رضي الله عنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال رسول الله ﷺ: **«وجبت»** ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال رسول الله ﷺ: **«وجبت»** فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال ﷺ: **«هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»** [٣].

اللهم أحسن لنا الختام، وأختم لنا بالباقيات الصالحات أعمالنا، وأجعل أفضل أعمالنا خواتيمها، واجعل أحسن أيامنا يوم أن نلقاك، وهون علينا سكرات الموت، وثبتنا عند سؤال القبر، وهون علينا ضمته، ووسع لنا مدخله، واجعله لنا روضة من رياض الجنة، ولا تجعله حفرة من حفر النار، ووفقنا لعمل صدقة جارية، تنفعنا بعد أن تنقطع عنا الأعمال والحسنات، ووفقنا لتربية الولد الصالح ليذكرنا بدعوة صالحة تثقل ميزاننا فتنقذنا من النار وتدخلنا الجنة، ونسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، وأن تعاملنا بعفوك وإحسانك ولا تعاملنا بعدلك وتقصيرنا.

* * *

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه أبو داود.
(٣) متفق عليه.

الوصية العشرون: السعادة ليست في المال

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود ١٠٥/ ١٠٦].

ذلك اليوم يجتمع الخلق ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ حتى الأنبياء والملائكة الكرام، لا يشفعون إلا بإذنه ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: من الخلق ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فالأشقياء هم الذين كفروا بالله وكذبوا رسله وعصوا أمره، والسعداء هم: المؤمنون المتقون. وأما جزاء كل فريق منهم فهو معلوم إما الجنة وإما النار خالدين فيها.

فالسعادة إذن أن تكون من الذين يعبدون الله، مطمئن القلب بعبادته سبحانه وتعالى.

واعلم أن السعادة في الدنيا سعادة مؤقتة وزائلة لأن الحياة عند المسلم لا تنتهي بموته، فبعد الموت تنتظره الحياة الأبدية إما جنة وإما نار، تلك حياة الخلود التي يجب أن تعمل من أجلها.

من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

وعلامات الشقاوة: أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره وتيهه، وكلما زيد في عمله زيد في فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه. وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلي بها عباده، فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام.

وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء، كالملك والسلطان والمال. قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور وكفر الكفور. كما إن المحن بلوى منه سبحانه فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر ١٥ : ١٧] أى: ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمته يكون ذلك إكرامًا منى له . ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة منى له [(١)].

أنواع النعم:

نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها . فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد . فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة .

أعرابى يعرف النعم لهارون الرشيد: يُحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها لتشكره ، فأعجبه ذلك منه فقال ما أحسن تقسيمه .

وقالوا من ترك لله شيئا عوضه الله خيرًا منه حق ، والعوض أنواع مختلفة وأجّل ما يعوض به هو الأنس بالله ومحبته وطمأنينة القلب به وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى . وتلك تمام السعادة [(٢)].

ومن سبل تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة:

١- بذكر الله قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ بلى بذكر الله تطمئن القلوب .

٢- بالاستغفار: قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود ٥٢] فالاستغفار يحصل الرزق ويمد العبد بالقوة

وقال تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح ١٠/ ١٢]

وأيضا فالاستغفار بنص الآية سببا لجلب الرزق وإنجاب الأولاد بل والراحة

(١) الفوائد بن القيم .

(٢) الفوائد بن القيم .

والسعادة، وثقتك بالله بأن هو النافع وهو الضار ، وسعيك في الدنيا لقضاء مصالحك بجوارحك مع التسليم من القلب بأن كل شيء بأمر الله بذلك تتحقق لك العزة والكرامة والرضا بما قسم الله لك . قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [التكوير ٢٩]

٣-اتباع منهج الله وسنة رسوله ﷺ بقدر المستطاع - قال تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦] يحقق لك العزة والكرامة ، والحفظ من الشيطان، وتحدث لك عفة من إتباع الشهوات التى تهلك الإنسان في الدنيا والآخرة .

٤-ومن أجمل ما قيل عن السعادة، ما قاله بن القيم : أطباق (أسباب) السعادة ثلاثة :

الأول : نعم من الله تترادف على العبد، فقيدها الشكر وهو مبنى على ثلاثة أركان الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرا، وتصريفها في مرضاة الله (وليها ومسديها ومعطيها) .

الثانى : محن من الله تعالى يبتلى بها العبد، ففرضه فيها الصبر والتسلى والصبر، هو حبس النفس عن السخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب .

الثالث : التوبة من الذنب : فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له باب التوبة والندم، والانكسار والذل والافتقار إليه، والاستعانة به، ودوام التضرع، والدعاء والتقرب إليه ما أمكن .

* * *

الوصية الحادية والعشرون: ليس بعد الموت مستعتب

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون ٩٩/ ١٠٠]

قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر٥٨]

وقال رسول الله ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»** أي حاسب نفسه لنفسه، كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

أي أن الكافر عندما يرى العذاب يسترجى بأن يعود إلى الدنيا كي يعمل صالحا ويكون محسنًا حتى ينجى من العذاب الذي أصبح واقعًا وأنى له ذلك.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨، ٨٩].

يا أخى يابن آدم أسرع إلى المغفرة والتوبة من قبل أن يأتيك الموت فجأة فتكن من أصحاب الآيات السابق ذكرها.

وصية عمر بن عبد العزيز: كان رضى الله عنه يقول في خطبته: أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى. وإن لكم معاد يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شيء، وجنته التى عرضها السماوات والأرض، وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف الله تعالى واتقى وباع قليلا بكثير، وفانيا بباق، وشقاوة بسعادة. ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين، ويستخلف بعدكم الباقون؟ ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديًا أو رائحًا إلى الله، قد قضى نحبه وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض، غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدنى من الأجل

فاعمل قبل الموت مجتهدًا ... فإنما الربح والخسران في العمل

الخاتمة

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس ١٠٨]

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٢]

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران ١٧٦]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

الفهرس

الفهرس

* * *

دار اللواء للطباعة
ت: ٢٧٩٢٩٤٨ - ٢٨١٦٧٠٧